مستقبل
الحضارة الإسلامية

بقلم
أحمد عبد الرحيم السايح
مراجعة
محمد صلاح الدين حيدر

رئيس التحرير
د. علي أحمد الخطيب

هدية مجلة الأزهر
جمادى الأولى ١٤٠٥ هجرية

بســـم الله الرحمن الرحيم

مقـــــدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والســلام على خير أسوة حسنة ٠ جاء بأحكم الشرائع وأيسرها ٠٠

وبعــد

فان الاسلام هو المنهج المتكامل ، والرائد الفـذ فى قيادة الانسانية وهدايتها الى الطـريق السليم ، ومنحها غاية السعادة فى الأنفس والمجتمعات ، وفى الدين والدنيا ، وذلك بفضل ما جاء به من جــلال الوسيلة ، وكفاية الفطرة ، والوفاء بالغاية فى كــل جانب من جوانب الحياة ، ومجــال من مجــالات المجتمع ٠٠

ولقد كانت العقيدة فى حياة المسلمين هى النافذة التى يطلون منها على العوالم الحية ، بكل شــعب هذه العوالم ، وجنبات جوانب العيش فيها ، كمـا

كانت العقيدة ذاتها هى المنظار الذى ترى بواسطته كافة حقائق العلوم والوجود ، وتفسر على ضوئه : مجراها ومرساها . ان مصدر الفاعلية فى عقيدة المسلمين كان الأس الفكرى والروحى لاطار حضارى يحدد لانسان العقيدة المؤمن بها ، والمؤتمن على سيادة مبادئها وتعاليمها أسلوب التعامل فى الحياة ، وان تحديد الطريق الحضارى فى مختلف الاحوال امر يقع فى الصميم من مهمات مبادىء الاسلام ..

والطريق الحضارى فى مختلف الاحوال لا يكون حضاريا ، ما لم يحكم بحركة الانسان وتواجداته وانطلاقاته .. والا فهو طريق بعيد ليس مكانه ساحات المخمصة ، والممارسة ، والعلم ، والبناء والأمم المتحضرة هى التى يتضح الطابع الانسانى وخصائص الانسانية فى علاقات أفرادها ، وفى موقفها وسلوكها من الآخرين . فلا تقاس حضارة الأمم بالتقدم . الا بمقدار ما يعبر التقدم عن الاهداف الانسانية ..

ولما كان الاسلام هو رسالة الله لتوجيه الانسان وكان المسلمون قد طبعوا فى ظل الاسلام على

حرية الفكر ، واستقلال الارادة ، وحب العلم والعمل كـــانت للمسلمين حضارة عالية لن ينسى التـــاريخ دورها فى بناء المجتمع الانسانى أو قدرتها فى تحويل مجرى الانسانية ، ولن تنسى الانسانية دور المسلمين فى بناء الحضارة ٠٠ والمسلمون فى أشد الحاجة الى الاطلاع لمعرفة حضارتهم التى ملأت الدنيا — ولأول مرة فى تاريخ الانسانية — بالعلم والنور والانسانية وذلك ليكون دافعا الى المتطلعين الى مستقبل مشرق، والتواقين الى المجد الحضارى ٠ وليكون أيضـــــا علامات مضيئة فى الطريق ، تهـــدى الســــــائرين ، وترشد السالكين ٠

والله المـــوفق

المؤلف

أحمد عبد الرحيم السايح

الحضـــــارة

مفهوم كلمة « الحضارة » مفهوم تطور مـــع الزمن ، لا سيما فى تاريخ الحياة العربية •• والمفهوم الأصيل لكلمة الحضارة ، فى اللغة العربية أنهـــا : تعنى حياة الحضر ، والاقامة الثابتة فى المدن والقرى وعكسها « البداوة » • وهى حياة التنقل فى البادية •

ولقد عرف الفارق بين حياة الحضر ، وحيـــاة البادية ، منذ كانت بادية ومنذ كان حضر ••

والباحث يلاحظ : أن أول من تصدى لهـــذا التمييز ، بين البادية والحضر ، على أســـاس من الدراسة الواعية ، والتسجيل ، والتحليل العلمى ، هو : العلامة عبد الرحمن بن خلدون فى كتـــابه ، المشهور « بالعبر وديوان المبتدأ والخبر » •• بل اننا نجد أن هذا العالم هو أول من يعالج شـــئون الحضارة بطريقة علمية توجيهية ، تسلك بالباحث الى مراقى الفلاح ••

على أنه اذا كان عبد الرحمن بن خلدون قد بلور مفهوم الحضارة عند العرب على : « أنها ذلك النمط من الحياة المستقرة فى القرى والأمصار والتى تضفى على أصحابها فنـــونا منتظمة من العيش والعمل والاجتماع والعلم والصناعة ، وادارة شئون الحياة والحكم وترتيب وسائل الدعة وأسباب الرفاهية » ..

واذا كان ابن خلدون قد بلور هذا المعنى التاريخى واعتبر الحضـــارة غاية العمران .. فان مفهـــوم الحضارة فى الفكر المعاصر . قد امتد الى ألوان من المعنى . هى : أبعد وأوسع مما رآه ابن خلـــدون فى عصره وفى بيئته العربية فى انتقالهـــا الاجتماعى ، والسياسى ، والثقـــافى ، والمدنى ، من البادية الى الحضر .

ولئن كان بعض العرب قد استعمل كلمة « مدنى » بمعنى « اجتماعى » فان مفهوما أصـــيلا اتصـــل بكلمة « مدنى » وأصبح يعرف بالمدنية . ونجـــد أن ابن خلدون لم يترك هذه الكلمة دون اســـــتعمال . فاستعمل صيغة من « التمدن » وكان يعنى بـــــــــا « التحضر » .

على أن مما يسترعى نظر المفكر : أن تلك المفاهيم اللغوية انما نشأت فى بيئة عربية ، كانت حياة الحضر فيها تقابل حياة البادية ولكن هذه الحالة من التقابل لا تكاد توجد بصورتها التقليدية الا فى جهات قليلة خارج البيئة العربية . ولذلك فان لفظ الحضارة فى مفهومه العالمى ، ومفهومه الحديث المعاصر بصفة خاصة ، قد أصبح أكثر اتساعا مما كان يدل عليه فى مفهومه اللغوى التقليدى ..

واذا كان أصل الحضارة الاقامة فى الحضر ... فان المعاجم اللغوية الحديثة . ترى أن الحضارة : « هى الرقى العلمى والفنى والادبى والاجتماعى فى الحضر » . وبعبارة أخرى أكثر شمولا : « هى الحصيلة الشاملة للمدنية والثقافة والفكر . ومجموع الحياة فى أنماطها المادية والمعنوية » ولهذا كانت الحضارة هى : « الخطة العريضة ــ كما وكيفا ــ التى يسير فيها تاريخ كل أمة من الامم » .. ومنها الحضارات القديمة والحضارات الحديثة والمعاصرة ومنها الاطوار الحضارية الكبرى التى تصور انتقال الانسان أو الجماعات من مرحلة الى مرحلة » .

والحضارة باختصار شديد هى جملة المظاهر المعنوية التى يخلفها التاريخ ، والتى تبقى فى المجتمع على مر الأيام دليلا على القدرات الذهنية المميزة ، ولاشك أن المظاهر المعنوية تأخذ قوالب مادية مختلفة تتجسم فيها تلك المعنويات ، وتشكل المظاهر المعنوية فى صور مختلفة كالفنون والآداب والعلوم والمعارف ومجموع ما ينتج عن ذلك كله من تسجيلات ومشاهد فى الآثار والعمران ، وأسلوب الحياة ، وآداب المعاش اليومى ، وتقاليد المجتمع فى التقارب والتفاهم والتعايش ..

والمدنية هى الوسائل والأدوات المادية التى يستعين بها الانسان على تحقيق حضارته ، وهى العديد من الأشياء والأدوات المادية التى تعين الانسان على التقدم فى مضمار الحضارة ..

واذا كانت الحضارة هى الابداع فى مجالات الفنون والمعارف والعلوم . فان المدنية هى السبيل الى تذليل الصعاب الحضارية ، والأدوات المادية التى تبلغ بها الحضارة ، مستوى التقدم . وكلما سيطرت الحضارة على وسائلها أمكنها أن تحقق ألوانا

من الفن والابداع • وليس كل عمل فكرى أو تصورى أو فنى أو سلوكى يصدر من الانسان يسهم فى الحضارة الانسانية • وانما ذلك العمل وحده الذى يصدر من الانسان ممثلا لخصيصة من الخصائص الانسانية ، ويتميز به الانسان لأنه انسان •

فالعمل الفكرى الدقيق ، والتصور الرفيع ، والسلوك المستقيم • هو أساس الحضارة الانسانية والعامل فى نموها وتقدمها ، لأن فى كل واحد منها يتجلى جهد الانسان ، وتتجلى ارادته ••

ومما يلاحظه الدارسون لتطور المجتمعات : أن الماديات المختلفة قد تؤدى الى رفع مستوى التقدم الحضارى • وقد تؤدى الى التخلف والانحدار ••• والذكاء الانسانى فى مجال استخدام الماديات هو الحكم فى توجيه هذه الماديات •• فاما أن يسير بها سيرا حثيثا نحو التقدم ، وما يفيد الانسانية••واما أن يهبط بها الى مجال العبث والفوضى والفساد ••

والحضارة الانسانية ليست انتاجا ماديا • ولكن الانتاج المادى قد يكون انعكاسا أو نتيجة لبعض جوانب الحضارة أولها جميعها •

ولئن كان الاسلام قد امتاز بأنه دين الحضارة الانسانية •• فان الواقع يبين للباحث والمفكر : أن الحضارة الاسلامية استمدت كل مقوماتها وعناصر وجودها . وأسباب نمائها وازدهارها من الاسلام ذاته والاسلام كان ولا يزال دين الحضارة والانسانية بمعنى أنه كان منذ جاء دين عبادة ودين معاملة ، وأنه أنشأ لونا من الحضارة عرف باسمه وهو « الحضارة الاسلامية » وتسمية الحضارةالتى غرس أصولها الاسلام . وتعهدها المسلمون بالرعاية •• بتسمية غير اسلامية ــ كالحضارة العربية أو حضارة العرب ــ ((**عبث نبت من أحقاد دفينة وأغراض خفية ••**)) •

وقد قامت الحضارة الاسلامية على دعائم أساسية . جعلت منها حضارة عالمية متميزة وفريدة فى تاريخ الانسانية •• حيث كانت انسانية فى جوهرها وانسانية فىأهدافها ، تعبر عن القيم الرفيعة ، وتصور تقدم الانسان فى مستوى الانسانية • فلا تقاس حضارة الشعوب بالتقدم فى الصناعة والتقدم فى العلم الا بمقدار ما يعبر التقدم فيهما عن الأهداف

الانسانية • ومن دعائم الحضارة الاسلامية :

أولا : أن الاسلام قد انطوى على طــاقة روحية جعلت منه قوة فعالة ، بل ان فاعلية الاسلام فى هذا الجانب شملت حياة الفرد ، وحياة الجماعة ، من جميع الجوانب •• والشيء المهم فى هذه القوة الفعـــالة أنها كانت أصلا جذريا يمس أساس الأوضاع فى حياة الناس . وحركتهم فى الحياة ••

ثانيا : ان الاسلام كان منذ أن أشرق دين دعــوة وتبليغ • وفكرة الدعوة فى الاسلام قــد واءمتهــا ظروف الانتشار فى أقطار الأرض ، وفى ظلال الدعوة المستمرة • والتبليغ القائم • تمكن الاسلام من نشر الطابع الحضارى كعقيدة للحياة ، وأن يصبح فى أقل من ربع قرن مقوما أساسيا من مقومات الحضـــارة الانسانية •

ثالثا : كان الاسلام دينا سهلا ميسرا غير معقد ، ولا مركب فى عقيدته ونظمه وتعاليمه ، وكان فى الوقت ذاته دينا مباشرا يتصل فيه الانسان بالخالق سبحانه وتعالى دون وساطة • قال تعالى : « وقـــال ربكم

أدعونى أستجب لكم » • وقال تعالى **« واذا سألك عبادى عنى فانى قريب »** • وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله •• » • وقد لا يجد الباحثون فى العقائد عقيدة تطلب من الانسان شهادة أبسط من شهادة الاسلام ، على عمقها وعظمتها : « لا اله الا الله محمد رسول الله » عبارة سهلة رائعة • تقف بالانسان على عتبة الاسلام ، وتدخل به وهو مسلح بالحق والعدل والصدق •• وكانت القاعدة الثابتة لدى من بشر بالاسلام ان الدين يسر لا عسر ومن هنا كان الاطمئنان الروحى والفكرى أول ما يستشعره من يدخل فى دين الله •

رابعا :كان الاسلام دينا رحبا يدعو الى سبيل العقل فى حدود أصول العقيدة ، كما يدعو الى سبيل الضمير والحق • ومن هنا كانت الدعوة الى النظر ، والى المعرفة أساسا من أسس الدعوة الاسلامية ، وكان التفتح البصير مفتاح الدعوة للحضارة ، والاسلام فى رحابته الحضارية استطاع أن يمتص ألوان الحضارات فى البلاد التى أوقد

قيها قناديل الضياء ، **وأن يسبغ عليها** طابعـــا اسلاميا شاملا .

خامسا : كان الاســـلام دينـــا للدنيا والآخرة .

وقد ترتب على ما اتصف به الاسلام من جمع بين الروح والمادة أنه أصبح دينا رحبا يلائم حيـــاة الناس .. كذلك أصبح الاسلام أكثر التصاقـــا بالحياة . وفى الوقت ذاته أصبحت العقيدة على اتصال دائم بالبناء الحضارى ..

سادسا : البيئة بعواملها المحلية وموقعهـــا الجغرافى قد ساعدت على اعطاء الحضارة الاسلامية ما كان لها من طابع ، **ومن مكانة ..**

سابعا : كان الاسلام دين قيم وضوابط سلوكية، وهذه القيم يتصل بعضها بحياة الأفراد ، ويتصل بعضها الآخر بحياة الجماعات . فالاســـلام أعطى نظاما متكاملا للحياة سواء من وجهة نظر الفرد أم من وجهة نظر الجماعة . وقد يكون من أبرز القيم التى استند اليها نظام الحياة الاسلامية فكرة القيمة للانسان واستنادها الى فكرة المسئولية قال تعالى: **« كل نفس بما كسبت رهينة »** وفى الحديث الشريف

« كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » •• ثم فكرة الاخـاء التى تجعل المسـلم **ينتمى الى جمـاعة** المسلمين ، ويحس بأنه عضو فى المجتمع الاسلامى **يعمل** لمصلحة الجماعة ، والجماعة تسعى للارتفـاع بمستوى الفرد ••

ثامنا : القرآن الكريم ذاته • وذلك أن القـرآن كان أعظم كتاب عرفته الانسانية فى تاريخها الممتد الطويل فقد تضمن القواعد الرصينة الكفيلة بقيام المجتمع الانسانى السليم تنشده الأمة فتجد فيـه مبتغاها من التشريعات الفردية ، والعلائق الاسرية، والمعامـلات الاقتصـادية والحربية ، والقـوانين المدنية •• وبعبارة أخرى : تجد فيه الأمة كل مـا تحتاج اليه فى حياتها العامة والخاصـة والـدين والدنيا • واذا كان الانسان ذلك الكـائن الحى لا وجود له ولا حياة بغير الـروح والقلب والعقل • فان المسلمين لا كيان لهم ولا حياة بغير القرآن فهو لهم الروح والعقل والقلب ••

تاسعا : اللغة العربية نفسها كانت دعامة مـن دعائم الحضارة الاسـلامية ، وذلك لأنهـا أعرق

اللغات منبتا ، وأعزها جانبـا ، وأقواها جـلادة ، وأغزرها مادة ، وأدقها تصـويرا ، لما يقـع تحت الحس ، وتعبيرا عما يجول فى النفس • نزل القرآن بلسانها فجعلها أكثر رسوخا وأشد بنيانا ، وأقوى استقرارا •• وبفضل القرآن صارت العربية أبعـد اللغات مدى ، وأوسعها أفقا ، وأقدرها على النهوض بتبعاتها الحضارية عبر التطور الدائم الذى تعيشه الانسانية •

واستطاعت اللغة العربية فى ظل عالمية الاسـلام أن تتسع لتحيط بأبعد انطـلاقات الفكر ، وترتقى حتى تصل أرقى اختلاجات النفس وليس هناك معنى من المعانى ، ولا فكر من الأفكار ، ولا عاطفة مـن العواطف ، ولا نظرية من النظريات • تعجز اللغـة العربية عن تصويره بالأحرف والكلمات تصويرا حيا بارزا ••

عاشرا : وبجانب هذا وذاك كانت هناك مقومات تاريخية وبشرية تتصـل بالعصر الذى ظهر فيـه الاسـلام • ثم العنصر البشرى • والتكـوين السكانى • فأما عن العصر فقد كان الاسلام ختـام

الأديان السماوية وكان الاسلام بذلك رباطا لها من الناحية التاريخية . كما كان فى الوقت ذاته تصحيحا لما أصابها من تخريف الفلاسفة والوضعيين ..

ولقد كان هذا كله قوة دفع للفكر الاسلامى . وما اتصل به من حضارة ومن هنا انطوى التفاعل الاسلامى على قوة غلبت كل التحديات الجاهلية . فانتشر طابع الحضارة الاسلامية على فعالية لم يعرف فى تاريخ الانسانية لها مثيل ..

ومما يذكر أن ترسيخ معالم الحضارة الاسلامية قد تضاعف بفعل مقوم انسانى آخر . وهو تنوع السلالات التى دخلت فى الاسلام . ثم هناك ظاهرة أخرى ترتبت على كل هذه الجوانب والعوامل . وهى ظاهرة الاتصال والاستمرار الزمنى فى الحضارة الاسلامية ..

ومن وراء كل ذلك هناك الايمان بالله فهو القوة الدافعة الموجهة التى تسند الضعيف من أن يسقط . وتمسك القوى من أن يجمح ، وتعصم الغالب من أن يطغى ، وتمنع المغلوب من أن ييأس ..

ولئن كان الاسلام قد امتاز بأنه دين الحضارة

الانسانية من حيث تقديس حريــة الفكر ، واعزاز حرية الانسان وكرامته ، وتشجيع المعرفة ، والنظام ، والمساواة بين الناس فى ظلال اخاء شامل ، وعــدل تام وروحانية صافية ، واعتــزاز بالمثل العليــا والقيم الخلقية الرفيعة .. فان واقع الأمــر يبين للمهتمين — بالفكــر الاســلامى — أن الحضــارة الاسلامية استمدت مقوماتها وعناصر وجودها مــن الاسلام ذاته ..

واذا كان ظهور الاســلام قد ســبقه فى جزيرة العرب وما جاورها حضارات أقدم منه ، كما سبقته أيضا فى البلاد التى فتحها ، وانتشر فيها ، ألوان من الحضــارات القديمــة مثل الحضــارة المصريــة والأشورية ، والبابلية ، والاغريقية . فان الاسلام استطاع أن يضفى على البلاد التى دخلت فيــه ، لونا عظيما من المعامــلات والعــلاقات الانسانية : الاجتمــاعية والسياســية والاقتصاديــة . وهذه الحضارة الاسلامية تمتاز بأن كل مقوماتها الجوهرية تنبع من الاسلام الذى يمدها بالروح ، والقــوة ، والتماسك ، ويوجهها الى الموازنة بين مقاصد الروح

ومطالب البدن والحضارة الاسلامية فى نظام عقيدتها تقوم على توحيد الله وافراده بالعبادة ؛ والتمسك بما شرع من آداب وتعاليم .

وهى فى نظامها السياسى تقوم على الشورى والنزول على رأى الجماعة والمساواة بين الناس واحترام حقوق الانسان ، والتزود بكل أسباب القوة والمنعة .

وفى نظامها الخلقى تقوم على خلوص النية ونقاء الضمير والتمسك بالحق والعدل والصدق والسلوك المستقيم ، والتزام الآداب الفردية والاجتماعية التى تسير بالانسانية الى الكمال ..

وفى نظامها الاقتصادى تقوم على تبادل المنافع واتخاذ المال وسيلة لا غاية ، واحترام الملكية الفردية ..

وفى نظامها التشريعى تقوم على أصول رئيسية واسعة وقد تمثلت هذه الناحية فى ثروة من الفقه الاسلامى تجلت فيها عبقرية الحضارة الاسلامية ، وتمثلت فيها حرية الاجتهاد ..

وفى نظامها الثقافى تعتمد على طلب المعرفة من

مظانها ومن أى مكان ، واستخدام العقل فى كسب المعارف ، واعتبار الثقافة أيا كان مصدرها ومهدها تراثا انسانيا ..

ويستطيع الدارسون للحضارة الاسلامية أن يدركوا فى وضوح أن :

ـ الحضارة الاسلامية قد وصلت بين قديم الحضارات وجديدها بما حفظت من تراث الأقدمين ، وما أضافت اليه من صنع توجيهاتها ..

ـ أنقذت العالم مما كان يعيش فيه من فوضى وانهيار واضطراب واستعباد ، وظلم ..

ـ أعطت العالم حضارة جديدة تقوم على عقيدة التوحيد فى أسمى صورها وأصفاها . وأعطت كذلك مجتمعا جديدا يقوم على التعاون والتسامح والحرية والتعايش السلمى بين الجميع .

ـ أعطت الانسانية ذخيرة حية من المعارف أفاد منها الغرب فى حركاته الاصلاحية ، واعتمد عليها العالم الاسلامى فى صحوته الزاهرة ، وعودته الصادقة ..

ـ وضعت بعض أصول المنهج العلمى الحديث .

كطريقة الشك عند الغزالى . والتكامل الخلقى والسلوكى عند الحكيم الترمذى .. كما فتحت آفاقا جديدة فى البحوث الانسانية ، والدراسات الاجتماعية ، كفلسفة التاريخ عند عبد الرحمن بن خلدون ، وعلم البصريات عند ابن الهيثم..وابتدأت مرحلة جديدة فى تطور علوم الرياضة على يد الخوارزمى وعمر الخيام ..

— وقد ساعدت الحضارة الاسلامية بآدابها على نهضة الآداب فى أوربا ، وفتحت آفاقا جديدة أمام شعراء الغرب وكتابه ..

— ساعد خلفاء الحضارة الاسلامية وقادتها بأخلاقهم وسلوكهم وبنماذج المروءة والشرف والقيم التى تحلوا بها — على اشاعة المثل الخلقية الرفيعة مما كان قدوة لمن احتك بهم فى السلم أو فى الحرب .

وان من يمعن النظر فى أعماق الحضارة الاسلامية، وما حققته للانسانية من أسباب النمو وعوامل الازدهار ، ويلم بما جاء به الفكر الاسلامى من مفاهيم تناولت أهم معضلات الحياة .. ان من

يتعمق فى ذلك يدهشه مدى عمق التفكير الواعى الذى بلغ ذروته علماء الاسلام ويتضاعف اعجاب الباحث بهذا الفيض الزاخر من الجهود العلمية العظيمة التى ملأت الدنيا .

وتزداد دهشة المفكر ، ويتعاظم تمجيده لحركة التحول الخطيرة التى أصابت المجتمع فى تلك الفترة القصيرة ..

ترى أى سر هذا الذى استطاع أن يحول عرب الصحراء الى أساطين فى العلم ، ومشاعل فى الحضارة ، ومنارات فى الثقافة ؟ .. وأى قوة رفعت العرب من حال البداوة التى كانوا عليها الى أبطال وقادة غير هيابين ولا وجلين ؟ .. وترى كيف نفسر سرعة تطور العرب من الجاهلية الجهلاء ، الى الحضارة العلياء ، فى أقل مدة عرفتها الانسانية ؟ ..
تقول الكاتبة الألمانية الدكتورة سيجريد هونكه : « ان هذه الطفرة العلمية الجبارة التى نهض بها أبناء الصحراء من العدم ، من أعجب النهضات العلمية فى تاريخ العقل البشرى » ..
وليس من المعقول فى نظر المفكر والباحث : أن يظفر

الفكر العربى الذى قيدته ظروف الحياة القبلية الآسنة اليبوس ، الى تلك المرتبة العالمية • دون أن تكون هناك الأسباب القوية التى دفعت بـــه الى الحياة المتحركة دفعا ••

ومن المسلم به أنه لم تظهر قبل الاسلام أيـــة دلائل على التطور الفكرى من العرب المنتشرين فى الجزيرة العربية • وكان الشعر والخطابة والتنجيم• أحب شىء الى عرب الجاهلية •• اذن ما هى تلــك الأسباب التى استقى منها الفكر العربى مـــادة حيويته وتطوره ؟ وما هى الموارد التى نهل منهـــا أسباب تكامله وقوته ؟؟ •

ان المنبع الأول والأصيل فى كل ذلك هو القرآن الكريم ، وذلك أن القرآن لم يكن كتاب دين يحث على العبادة فحسب ، وانما كان الى جانب تأكيـــد وحدانية الله وما يتبعها من عقائد وعبادات وأوامر ونـــواه • كـــان أعظم الدســـاتير التى عرفتهـــا الانسانية فى تاريخها الطويل الممتـــد عبر الزمن • وذلك بما تضمنه من القواعد الرصينة الكفيلة بقيام المجتمع الانسانى ••

ولقد كان أول أثر من آثار القــرآن فى الفكــر الانسانى : اهتمامه الواسع بالعلم • وذلك أن العلم أساس التقدم وتبادل الخبرات والمنفعة وقد كانت عناية القرآن بالعلمتفوق حد الوصف •• تــــأمل القرآن وتدبر آياته ، تجده يدعو الى تحكيم العقل والمنطق فى مظاهر الكون وأحداث الماضى •• ولقد اشتمل القرآن على آلاف الآيات التى احتوت أصولا وحقائق تتصل بعلوم الفلك والطبيعة ، ومــا وراء الطبيعة ، والاحياء ، والنبات ، والحيوان ، وطبقات الأرض ، والأجنة ، والوراثة ، والصحة والتعدين والصناعة والتجارة ، والمال ، والاقتصاد • الى غير ذلك من أمور الحياة • واحتوت باقى الآيــات على الأصول والأحكام فى المعاملات ، وعــلاقات الأمم والشعوب ، فى السلم والحرب ، وفى سياسة الحكم ، واقامة العدل ، وكل ما يتصل ببناء المجتمع وهذا كله بخلاف العبادات، والعقائد ، والتكاليف ،والقصص، والمواعظ والأمثال ، وغير ذلك من شتى أمور الدين والدنيا ، مما كان محلا للدراسة والاستنتاج والبحث والتنقيب ، والتأصيل ، والتقعيد • وكان أساســا

لعلوم الفقه والتفسير والحديث والأصول والأخلاق والبلاغة والنحو والأدب .. ذلك أن القــرآن من العمق والاتساع والعموم والشمول بما يقبل تفهم البشر له أياكــان مبلغهم مــن العلم ، وبمــا يفى بحاجاتهم فى كل عصر ، ويتجاوب مع أهل البداوة فى يسر ، ويبهر فى عمقه أهل الحضارة الذين صعدوا فى سلم الرقى ، وبرعوا فى فنون العلم والمعرفة .. لقد كرم الاسلام العلم ، وحث المسلمين على المزيد فيه ، والاستفادة منه ، لأنه ينير العقول المظلمة ، ويحيى القلوب الميتة ، ويهدى النفوس الحــائرة ، ويرقى بالمجتمعات الانسانية ، ويسمو بالقواعــد الحضارية .. وقد كانت عناية الاسلام بالعلم تفوق حد الوصف حتى أن كلمة العلم بجميع تصريفاتهــا واشتقاقاتها ترد فى أكثر من خمسمائة آية من آيات القرآن الكريم . وهذا ينبىء عن مكــانة العلم فى الاسلام ..

والقرآن الكريم نفسه مشـــتق من القراءة ، والقراءة أدنى مفاتيح العلم للانسان . بــل هى مفتاح هائل ، وطريق دائم للمعرفة . والانســان

مهما كان ضعيفا فى العلم والثقافة فانه الى مزيد فى العلم والثقافة مادام يقرأ .. وأول ما نزل على محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من وحى السماء ، عندما كان يتحنث فى غار حراء . خمس آيات من القرآن الكريم هى قوله تعالى : **« اقرأ باسم ربك الذىخلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان مالم يعلم »** ففى هذه الآيات الخمس. بدأ الوحى الالهى بالأمر بالقراءة فى أول آية . وكان ذلك بصيغة فعل الأمر . وقد تكرر الأمر بالقراءة فى الآية الثالثة ، وأوضحها مؤكدا مارمى اليه من معنى . وهو التعليم وزاد التأكيد بذكر القلم .

يقول القاسمى فى تفسيره : « والتعليم بالقلم من أعظم نعم الله على عباده ، اذ به تخلد العلوم ، وتثبت الحقوق ، وتعلم الوصايا ، وتحفظ الشهادات ، ويضبط حسابات المعاملات الواقعة بين الناس ، وبذا تقيد أخبار الماضين للباقين اللاحقين . ولولا الكتابة لانقطعت أخبار بعض الأزمنة عن بعض ، ودرست السنن وتخبطت الاحكام ولم يعرف

الخلف مذاهب السلف . وكان معظم الخلل الداخل على الناس فى دينهم ودنيـاهم انمـا يعتريهم من النسيان الذى يمحو صور العلم من قلوبهم فجعـل لهم الكتاب وعاء حافظا من الضياع ، كالأوعيـة التى تحفظ الأمتعة من الذهاب والبطلان » .

يقول فضيلة الشيخ المراغى فى قـوله تعـالى : « **ن والقلم وما يسطرون** » فالله يقسـم بالقلم والكتب فتحا لباب التعليم بهما ، ولا يقسـم الله الا بالأمور العظام ، فاذا أقسم بالشمس والقمـر والليل والفجر فانما ذلك لعظمة الخلـق وجمـال الصنع . واذا أقسم بالقلم والكتب فانما ذلك ليعم العلم والعرفان ، وبه تتهذب النفوس وترقى شئوننا الاجتماعية والعمرانية » ..

وما أروح لفظ « **وما يسطرون** » حيث يشـمل كل فنون الكتابة والتعبير عما فى الضمير بالرسـم والتصوير ، ويشمل كل آلة أو نظـام اسـتحدث للتوصل الى ذلك من آلات ومعـدات حـدثت أو ستحدث . فانسانية الانسان لا تكمل الا فى ظـل

المعرفة الصادقة ، والعلم البناء المثمر الذى يوضح المعالم . ويهدى الى الرشاد » .

والاسلام يحض المسلمين على طلب العلم، والتفقه فى الدين . والبحث الدقيق فى كل مجالاته وفنونه وفروعه . وأن يتحملوا المشاق فى سبيل تعلمه وتحصيله ، وأن يبذلوا كل طاقاتهم فى طلب المزيد منه . وأن يتعلموا كل ما ينفعهم فى دينهم ودنياهم ، وكل ما يعود عليهم وعلى الأمة الاسلامية والمجتمعات الانسانية بالخير والرقى . قال تعالى فى سورة التوبة : « **وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون** » . فهذه الآية الكريمة تشير الى أن تعلم العلم واجب على الأمة جميعا وجوبا لا يقل عن وجوب الجهاد والدفاع عن العقيدة والوطن الاسلامى فان الوطن يحتاج الى من يناضل عنه بالسيف ، والى من يناضل عنه بالحجة والبرهان ، وفى الآية — كما جاء فى تفسير المراغى — اشارة الى

وجوب التفقه فى الدين والاستعداد لتعليمه فى مواطن الاقامة ، وتفقيه الناس فيه بالمقدار الذى تصلح به حالهم فلا يجهلون الاحكام الدينية العامة التى يجب على كل مؤمن أن يتعرفها • والناصبون أنفسهم لهذا التفقه على هذا القصد • لهم عند الله من أسمى المراتب مالا يقل فى الدرجة عن المجاهد بالمال والنفس فى سبيل اعلاء كلمة الله . والذود عن الدين والملة • بل هم أفضل منهم فى غير الحال التى يكون فيها الدفاع واجبا عينيا على كل شخص » روى البخارى ومسلم وابن ماجة عن معاوية رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين » •• وروى احمد والطبرانى عن صفوان بن عسال المرادى قال : أتيت النبى صلى الله عليه وسلم • وهو فى المسجد متكىء على برد له أحمر ، فقلت له يارسول الله انى جئت أطلب العلم • فقال : « مرحبا بطالب العلم ان طالب العلم تحفه الملائكة بأجنحتها ثم يركب بعضهم بعضا حتى يبلغوا السماء الدنيا من حبهم لما يطلب » ••

وانطلاقا من تعاليم الاســلام ، ودعــوته الى العلم ، أدرك المسلمون مبلغ الحاجة اليه فى بنــاء المجتمع ، ودعم مركز الأمة . لهذا وجهوا العزائم فى طلب العلوم على اختلاف أنواعها ، ولم يشغلهم عن طلبها ترف الحضارة ، ولم تثن عزائمهم عنهــا بأساء الحياة وضراوتها ، بحثوا عنها فى آيات الله التشريعية ، وآيات الله الكونية .

وأقاموا لها فى كل مدينة منارا عاليا ، وحملــوا المشاعل المضيئة الى مشارق الأرض ومغاربها . ولم يقف المسلمون بجهــودهم عنــد نتــاج عقــولهم وأفهامهم . بل اتجهوا أيضا الى علوم الســـابقين يدرسون ويبحثون . فاستخرجوا العلوم ، وكانوا يطلبون العلوم طلب الناقد البصير . واكتمــل لهم من ملكة العلوم والفنون فى جيل واحد ما لم يكتمل لأمة من الأمم الناهضة فى عــدة أجيال . وفى ذلك يقول بعض العلماء المؤرخين : « ان ملكة الفنون لم يتم تكوينها فى أمة من الأمم الناهضة الا فى ثــلاثة أجيال : جيل التقليد ، وجيل الخضرمة ، وجيــل

الاستقلال والاجتهاد ، الا العرب وحدهم فقد استكملت لهم ملكة الفنون فى الجيل الأول الذى بدأوا فيه بمزاولتها » •

وقد قام العلماء والمفكرون المسلمون بهذه النهضة العلمية التى تخطت مراحل النهوض فى الأمم • قاموا بها رغم الأحداث العاتية التى حملوا أعباءها ، والحروب الطاحنة التى خاضوا غمارها • لأن الأحداث والحروب • وان بلغت ما بلغت لا تستطيع أن تقف فى طريق العقيدة الصحيحة التى انطوت عليها القلوب وتفاعلت بها النفوس ، ولا أن تمنع العزائم القوية من الوصول الى تحقيق أغراضها وأهدافها ، واستطاع المسلمون فى سرعة لم يعهد لها مثيل فى تاريخ الحضارة أن ينتقلوا من أمة الأمية الى أمة العلم والقيادة الفكرية ، وأن يصبحوا قادة للفكر ، وروادا للمعرفة والعلوم والفنون يدرسونها للأجيال المعاصرة كأحسن ما يكون التدريس والتعليم • وينشرونها فى شعوب كانت تائهة فى عماء الجهل وظلمته ، ويدونونها للأجيال

المقبلة كأحسن ما يكون التدوين والتـأليف • وان الأمة التى أكرمها الله بالقرآن • تتطلع الى غـد مشرق بالعلم والحضارة ، وخير للأمة أن تعمـل فى حزم وعزم لتحقق الأمجـاد •

الثقـافة الاســلامية

أصل مادة التثقيف فى اللغة العربيــة ، تفيــد التهذيب ، والتقويم ، والحذق والفطانة ، والمعاجم اللغوية تشير الى أنها : المعارف والعلوم والفنــون وأنها تشمل كل ما يتصل بالروح والفــكر والعقــل والذوق والمشاعر • وهى حصيلة الحياة الانســانية فى مجالات الحياة كلها : الحياة الروحية والفكــرية واللغوية والأدبية والفنية • ولها صورها التى تتعدد وتتلاقى بين الشعوب والجمــاعات ، التى يتصــل بعضها بتراث الانسانية كلها ، ويتصل بعضها الآخر بحياة جماعات بذاتها دون سواها •

والثقافةالاسلامية تستمد كل خصائصهاومقوماتها من القرآن الكريم وعلى القرآن تعتمد فى صمودها أمام تحديات كل عصر • وعلى القرآن تعتمــد فى انطلاقها وتفاعلها وعطائها •

والثقافة الاسلامية ثقافة انسانية وعالمية تتميــز

بالشمول والتوازن والايجابية والفاعليـة • وقـد انطوت على طاقة روحية جعلت منها قوة فاعلـة • يضاف الى ذلك أن الثقافة الاسلامية تمتـد على مساحة الدنيا والآخرة • وهذا الامتداد الـزمانى والمكانى الموغل فى العمق • جعل الثقافة الاسلاميـة تختلف عن ثقافات بعضها يتوغل فى ماديـات الحياة ثم يضفى عليها مسحة من العبادة والفلسـفة • وبعضها الآخر يسلك طريق الروحيـة التجريدية • أما الثقافة الاسلامية فقد جمعت بين الروح والمادة ولهذا لاءمت حياة الناس •

ولما كان الاسلام دين قيم وضوابط سـلوكية ، كـانت الثقـافة الاسلامية موجهة ومربية تتصل بحياة الأفراد وحياة الجماعات •

ومن أبرز القيم التى استندت اليها الثقـافة الاسلامية فكرة القيمة الذاتية للانسان • واستنادها الى فكرة المسـئولية الفـردية • وليس فى الثقافة الاسلامية ، انفصال بين مسـئولية الفـرد نحـو المجتمع ، ومسئولية المجتمع نحو الفرد • لأن هاتين المسئوليتين هما أوليا وسـائل الاصلاح العام فى

الاسلام . ومن هذا المنطلق كانت الثقافة الاسلامية لا تعترف بالقهرية التى يدمج بهـا الفرد فى المجتمع قسرا ورغما عنه كما فى الشيوعية ، لأن الشيوعية من الوجهتين العملية والنظرية تستغنى عن الفرد ان لم يخدم غرض الدولة ، أو ان لم يتبع طريقة الحزب دون نقاش ..

ومن وراء كل ذلك تمتاز الثقافة الاســـلامية بأن كل مقوماتها الجوهرية تنبع من الاســـلام .. فهى اذن تختلف عن غيرها من الثقافة حيث تأخـــذ فى الاعتبار تهذيب الجنس البشرى كله ، والعمـــل والوصول به الى الرقى والفلاح . يقول العـــالم الانجليزى « مارمادوك بيكتهول » فى حديث عـــن الثقافة الاســـلامية : « وأنـــا لا أعنى بالثقـــافة الاسلامية تلك الثقافة التى بلغها فى أى وقت قـــوم يقرون بالاسلام مهما كانت مصادر هذه الثقافة . بل أعنى بها ذلك الضرب من الثقافة التى يأمر بهـــا الدين . الذى جعل من التقدم الانسانى غايتـــه الواضحة العلنية . ان كل من درس القرآن الكريم لا يستطيع أن يعد جميع من يسيرون على هـــديه ،

ويطيعون ما جاء فيه ، بالنجاح والفلاح فى الدنيا والآخرة . وأنه لا يهدف الى شىء أدنى من فلاح الانسانية بأسرها ، وأن هذا النجاح انما يتحقق عن طريق تهذيب مواهب الانسان وكفاءاته .

ان الثقافة الاسلامية تختلف عن غيرها من الثقافات فى أنه لا يمكن أن تكون اطلاقا هدف الفرد المثقف وغايته ، لأن هدفها — كما هو محدد بوضوح — ليس تهذيب الفرد أو الجماعة — بل الجنس البشرى بأكمله وما من كمية من المؤلفات الأدبية أو الفنية فى أيما بلد يمكن أن تعتبر المبرر لاسلاميته طالما بقيت فيه ذرة من الاثم أو الظلم أو التعصب. وما من انتصارات حربية أو سلمية بالغة ما بلغت من الروعة يمكن أن تذكر على أنها من حصاد الاسلام . ذلك أن للاسلام غايات أوسع ، ونظرات أجل وأعظم .. وهو لا يهدف الى ما هو أدنى من الأخوة الانسانية . ومع ذلك فان الاسلام كدين يشجع الانسان على بذل جهده فى سبيل تحسين ذاته وترقية الانسانية عامة بأكثر مما يشجعه على ذلك أى دين آخر . وهو منذ أن أصبح دولة فى

العالم ، أعطى من النتائج الثقافية ما يمكن مقارنته بالنتائج التى اعطتها سائر الأديان والحضـــارات والفلسفات مجتمعة » .

ويذكر العالم الانجليزى « يورك » : « أن القرآن دستور يضبط سلوك المسلمين الذين يجب أن تكون جميع أفعالهم بمقتضى تعاليم القرآن الكـــريم .. أما كون المسلمين يعتبرون أن قوانين القرآن ثابتـــة ومعصومة عن الخطأ . فيتضح من الحقيقة القائلة بأنه بالرغم من انقضاء ثلاثة عشر قرنا « أربعـــة عشر قرنا » على نزول القرآن الكريم . فـــانه لم يتعرض لأقل تغيير أو تبديل . وبأن كل كلمة مـــن كلماته ، وكل حركة من حركاته ، قد بقيت كما خرجت من بين شفتى رسول الله ﷺ ، وسيبقى هكذا دون أى تبديل أو تحريف . فالقرآن الكريم خـــالص من التدخل الانسانى . وهذه حقيقة لا يمكن أن تقـــال لا كليا و لاجزئيا عن سائر الكتب المقدسة للأديـــان الأخرى » .

وهذا الشعور بالمعصومية من الخطأ ، وبالخلود الذى يوحى به القرآن الكريم يزيد من قوة القوانين

الاسلامية ، وينمى الخلق الانسانى بأن يجعل كل مسلم يدرك مسئوليته الخاصة • وهذا الوعى الخلقى يخلق شعورا بالبر والتقوى يعتبره الاسلام أسمى ضروب الفضيلة • والاسلام يفرض على كل مسلم أن لا يفعل الا الشىء الصحيح مهما كان كريها وعسيرا ، كما يعتبر الصدق فى التفكير والعمل : الوسيلة اللازمة للخلاص والنجاة •• وهذا الشعور بالواجب يخلق تأثيرا سليما فى صياغة شخصياتنا وأخلاقنا • والصبر والشجاعة والايمان الذى لا يتزعزع بالخالق يجعل من المسلم نموذجا سليما للرجولة • والاسلام دين روحى • ذلك بأنه يناشد دائما ويخاطب مشاعر الانسان السامية ، ويخلق فيه شعورا بالتقدير والاحترام للاشياء الطيبة فى الحياة • وان التسامح ازاء الغير يخلق فى المسلم شعورا بالود والصداقة الذى من دونه لا يطمع أى امرىء فى أن يدخل الجنة • ولقد أثبت المسلم بوصفه مواطنا فى هذا العالم أنه يملك الرفقة والصداقة الى حد مذهل • هذه الصفة هى التى جعلته موضع الاعزاز فى كل مكان ساقه القدر اليه » •

ويقول الأستاذ « ليبوبلو فايس » الذى أسلم وتسمى باسم محمد أسد : « يخبرنا التاريخ أن جميع الثقافات الانسانية وجميع المدنيات : أجسام عضوية تشبه الكائنات الحية • أنها تمر فى جميع أدوار الحياة العضوية التى يجب أن تمر بها •• انها تولد ثم تشب وتنضج ثم يدركها البلى فى آخر الأمر •• فالثقافات كالنبات الذى يذوى ثم يستحيل ترابا • تموت فى أواخر أيامها وتفسح المجال لثقافات أخرى ولدت حديثا • أهذه اذن حال الاسلام ؟ ربما ظهرت كذلك عند القاء أول نظرة سطحية • مما لا شك فيه أن الثقافات الاسلامية شهدت نهضة مجيدة وعهدا من الازدهار • وكان لها من القوة ما يلهم الرجال جلائل الأعمال . وأنواع التضحية •• ولقد غيرت معالم الشعوب وخلقت دولا جديدة ثم سكنت وركدت وأصبحت كلمة جوفاء واذا كنا نعتقد أن الاسلام ليس مدنية من المدنيات الأخرى ، وليس نتاجا بسيطا لآراء البشر وجهودهم • بل هو شرع سنه الله لتعمل به الشعوب فى كل مكان وزمان • فان الموقف يتبدل تماما ••

وإذا كانت الثقافة الاسلامية — فى اعتقادنا — نتيجة لاتباعنا شرعا منزلا فاننا حينئذ لا نستطيع أبدا أن نقول : انها كسائر الثقافات خاضعة لمرور الزمن ومقيدة بقوانين الحياة العضوية • ثم ان ما يظهر انحلالا فى الاسلام ليس الا موتا وخلاء يحلان فى قلوبنا التى بلغ من خمولها وكسلها أنها لا تستمع الى الصوت الأزلى •• ثم ليس علامة ظاهرة تدل على أن الانسانية — مع نموها الحاضر — قد استطاعت أن تشب بعيدا عن الاسلام • انها لم تستطع أن تبنى فكرة الاخاء الانسانى على أساس عملى • كما استطاع الاسلام أن يفعل حينما أتى بفكرة القومية العليا « الأمة » انها لم تستطع أن تشيد صرحا اجتماعيا يتضاءل التصادم والاحتكاك بين أهله فعلا على مثال ما تم فى النظام الاجتماعى الاسلامى • انها لم تستطع أن ترفع قدر الانسان • ولا أن تزيد فى شعوره بالأمن ولا فى رجائه الروحى وسعادته •

ففى جميع هذه الأمور نرى الجنس البشرى فى كل ما وصل اليه مقصرا كثيرا عن المنهج الاسلامى •

فأين ما يبرر القـول اذن بأن الاسـلام قد ذهبت أيامه ؟ •

آذلك لأن أسسه دينية خالصة ؟ •

ولكن اذا رأينا نظاما بنى على الدين قد استطاع أن يقدم منهاجا عمليا للحياة أتم وأمتن وأصـلح للمزاج النفسانى فى الانسان من كل شىء آخر يمكن للعقل البشرى أن يأتى به عن طـريق الاصـلاح والاقتراح أفلا يكون هذا حجة بالغـة فى ميـدان الاستشراف الدينى ••

لقد تأيد الاسلام ــ ولدينا جميع الأدلة عـلى ذلك ــ بما وصل اليه الانسان من أنواع الانتـاج الانسانى • لأن الاسلام كشف عنها ؛ وأشار اليها على أنها مستحبة قبل أن يصل اليها الناس بزمـن طويل ••

ولقد تأيد أيضا على السواء بما وقع فى أثنـــاء التطور الانسانى من قصور وأخطاء وعثرات • لأنه كان قد رفع الصوت عاليا واضحا بالتحذير منها من قبل أن تتحقق البشرية أن هذه أخطاء • واذا صرفنا

النظر عن الاعتقاد الدينى نجد من وجهة نظر عقلية محضة كل تشويق الى أن نتبع الهدى الاسلامى بصورة عملية وبثقة تامة ..

نحن لا نحتاج الى فرض اصلاح على الاسلام — كما يظن بعض المسلمين — لأن الاسلام كامل بنفسه من قبل . أما الذى نحتاج اليه فعلا فهو اصلاح موقفنا من الدنيا بمعالجة كسلنا ، وقصر نظرنا .. وبكلمة واحدة :

ان الاسلام لمؤسسة روحية واجتماعية غنى عن كل تحسن . وان أى تغيير فى مثل هذا الحال يطرأ على مدركاته وعلى تنظيمه الاجتماعى بافتئات من ثقافة أجنبية — ولو بقدر ضئيل — سيكون مدعاة الى الأسف الشديد . وسترجع الخسارة حتما علينا نحن » ..

فالثقافة الاسلامية ثقافة حية تقوم على شمول العقيدة الاسلامية فى ظواهرها الفردية والاجتماعية وشمول العقيدة فى الاسلام ميزة خاصة للثقافة أوحت الى المثقف المسلم بالاستراحة من خصام

العقائد والمذاهب الفكرية البشرية .. وقد واجهت الثقافة الاسلامية فى الماضى تحديات خطيرة وصمدت لها . واستطاعت فى قوة أن تثبت لها ، وتقضى عليها نظرا لتمسك المسلمين بثقافتهم . ويمكن اجمال هذه التحديات فى حملات الزندقة والالحاد والتشكيك فى العقيدة ، والغزو الفكرى اليونانى . والذى أعجب به الكثير من المسلمين ..

ولازالت الثقافة الاسلامية تواجه تحديات خطيرة وتكالبا مسعورا وغزوا فكريا شرثا .. فالحضارة الغربية بشتى مؤسساتها تعمل على خلق أدوات الضرب لأى بادرة ثقافية اسلامية . وعلى بذر الشك فى كل اتجاه . « وقد كان الخطر على الثقافة من الغزو الفكرى كامنا أولا فى طبيعة الثقافة الغربية واختلافها فى معظم مبادئها عن الثقافة الاسلامية . ويكمن الخطر ثانيا فى تبنى الحضارة الغربية للمؤسسات التعليمية والثقافية التى تبث ثقافتها . وتعمل فى الوقت نفسه على اظهار الاسلام بما هو ليس على الحقيقة ، وطمس معالمه الصحيحة ،وتشويه مبادئه المثالية » ..

ويقول المستشرق البريطانى «جب» فى كتابه « أين يتجه الاسلام ؟ » « والواقع أننا اذا أردنا أن نعرف المقياس الحقيقى للنفوذ الغربى ، وتغلغل الثقافة الغربية فى الاسلام • كان علينا أن ننظر الى ما وراء المظاهر السطحية • علينا أن نبحث عن الاراء الجديدة والحركات المستحدثة التى ابتكرت بدافع من التأثر بالأساليب الغربية بعد أن تهضم وتصبحجزءا حقيقيا منكيان هذه الدول الاسلامية، فتتخذ شكلا يلائم ظروفها •• والسبيل الحقيقى للحكم على مدى التأثير هو أن نتبين الى أى مدى يجرى التعليم على الأسلوب الغربى وعلى المبادىء الغربية . وعلى التفكير الغربى » ••

ويقول المستشرق جب فى موضع آخر من الكتاب « ان العالم الاسلامى سيصبح خلال فترة قصيرة علمانيا فى كل مظاهر حياته • ما لم تطرأ على الأمور عوامل ليست فى الحسبان فتغير اتجاه التيار » انتهى كلام المستشرق البريطانى جب ، والذىيبين المحاولات الخطيرة التى رسمت خطوطها لابعاد الثقافة الاسلامية عن الحياة • ولا شك أن بعض

المجتمعات الاسلامية وفى غيبة ثقافة الاسلام ارتمت عن جهل فى جحيم المذاهب الهدامة ، وما تولد عنها من مسميات • وعودة الأمة الاسلامية الى الثقافة التى جاء بها القرآن الكريم ضرورة تقتضيها الحياة الصحيحة ، ولا حيـاة للمسـلمين بـدون ثقـافة الاسلام ••

العقليـــة العلميـــة

العقل هو القوة المتهيئة لقبول العلم ، وسـمى العقل عقلا لأنه يعقل صاحبه عما لا يحسن . والعقل فى اللغة ضد الحمق . ويقال للعلم الذى يسـتفيده الانسان عن طريق الملكات الادراكية : العقل . قال على كرم الله وجهه :

رأيت العقــل عقلين فمطبوع ومســموع

ولا ينفــع مسمــوع اذا لم يك مطبــوع

كمــا لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع

والى العقل النظرى المطبوع يشير ماروى الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول من رواية الحسن عـن رسول الله ﷺ أنه قال : « ما خلق الله خلقا أكرم عليه من العقل » . وكذا ما جاء من أن « أول ما خلق الله العقل » ..

والى العقل المكتسب يشير ما روى : « ماكسب

أحد شيئا أفضل من عقل يهديه الى هدى ، أو يرده عن ردىء » ••

ومن أوضح سمات القرآن الكريم التى أثارت انتباه الدارسين من رجال الفكر والباحثين من العلماء هى الاشـــادة بالعقـل ، وتوجيـه النظـر الى استخدامه للوصـول الى مـا يفيـد الانسانية فى مسيرتها عبر الحياة ••

ويشير القرآن الكريم الى العقل ومشتقاتـه ومترادفاته ومعانيه المختلفة فى أكثر من ثلاثمائـة وخمسين آية • مستخدما لذلك كل الألفاظ التى تدل عليه أو ترشد • وتشير اليه من قريب أو من بعيد مـن التفكر والتدبر والتذكر ، والحكمة ، واللب ، والنظر ، والرشـد ، والرأى ، والعلم ، والفقـه ، والقلب ، والفؤاد ، الى غير ذلك من الكلمات والألفاظ التى تدور حول الوظـائف العقلية على اختـلاف معانيها وخصائصها • مما يعتبر ايحاءات قويـة بدور العقل وأهميته بالنسبة للانسان ••

والقرآن الكريم كتاب تبليغ واقناع ، وهداية

وارشاد • يوقظ القلوب ، ويصلح العيوب ، ويشرح الصدور •• وليس أتم مـن التوافق بـين تمييز الانسان بالتكليف ، وبين خطاب العقل فى القرآن الكريم ، بكل وصف من أوصاف العقل ، وكل وظيفة من وظائفه ، فى الحياة الانسانية •• يقول الكاتب الكبير عباس محمود العقاد : « ان الكتاب الذى ميز الانسان بخاصة التكليف ، هو الكتاب الذى امتـلأ بخطاب العقل ، بكل ملكة من ملكاته ، وكل وظيفـة عرفها له العقلاء والمتعقلون • قبل أن يصبح العقل درسا يتقصاه الدارسون كنها وعمـلا ، وأثرا فى داخله ، وفيما خرج منـه ، وفيمـا يصـدر منه ، وما يئول اليه••العقل وازع يعقل صاحبه عما يأباه له التكليف •• العقـل فهم وفكر يتقلب فى وجوه الأشياء ، وفى بواطن الأمور •• العقل رشد يميز بين الهداية والضلال •• العقل روية وتدبـير •• العقل بصيرة تنفذ وراء الابصـار •• العقل ذكرى تأخذ من الماضى للحاضر ، وتجمع العبرة مما كان لما يكون ، وتحفظ وتعى ، وتبدىء وتعيد ••

والعقل بكل هذه المعانى موصول بكل حجة مـن

حجج التكليف ، وكل أمر بمعروف ، وكل نهى عـــن محظور .. أفلا يعقلون ؟ أفلا يتفكرون ؟ أفـــلا يبصرون ؟ أفلا يتدبرون ؟ أليس منكم رجل رشيد ؟ أفلا تتذكرون ؟ ..

ان هذا العقل بكل عمل من أعماله يناط به التكليف حجة على المكلفين فيما يعنيهم مـــن أمـــر الأرض والسماء ؛ ومن أمر أنفسهم ، ومن أمـــر خـــالقهم وخالق الأرض والسماء » ..

والاشارة الى العقل لا تأتى فى القرآن الكريم عارضة ولا مقتضبة فى سياق آية . بل هى تأتى فى كل موضع مؤكـــدة باللفظ والدلالـــة .. وتتكرر الاشارة الى العقل فى كل معرض من معارض الأمر والنهى التى يحث فيها الانسان على تحكيم عقله ، أويلام فيها الفكر على اهمال عقله . ولا يأتى تكرار الاشارة الى العقل بمعنى واحد مـــن معانيه التى يشرحها النفسانيون من أصحاب العلوم الحديثة . بل هى تشمل وظائف الانسان العقلية على اختلاف أعمالها وخصائصها .. فلا ينحصر خطاب العقل فى

العقل الوازع ، ولا فى العقل المدرك ، ولا فى العقل الذى يناط به التأمل الصادق ، والحكيم الصحيح.. بل يعم الخطاب فى الآيات القرآنية كل ما يتسع له الذهن الانسانى من خاصة أو وظيفة . فالعقـل فى مدلول لفظه العام : ملكة يناط بها الوازع الاخلاقى أو المنع المحظـور والمنـكر .. ومن خصـائص العقل الانسانى التى تميز بها :

أولا : أنه ملكة الادراك التى ينـاط بهـا الفهم والتصور . وهذه الملكة على كونها لازمة لادراك الوازع الأخلاقى ، وادراك أسبابه وعواقبه ، تستقل أحيانا بادراك الأمور فيما ليس له علاقة بالأوامر والنواهى ..

ثانيا : ان العقل يتأمل الأمر . يدركه ويقلبه على وجوهه ، ويستخرج منه بواطنه وأسراره ، ويبنى عليها نتائجه وأحكامه ..

ثالثا : ومن أعلى خصائص العقل « الرشد » .. ووظيفة الرشد فوق وظيفة العقل الوازع ، والعقل المدرك ، والعقل الحكيم .. لأن الرشـد استيفاء

لجميع هذه الوظائف ، وعليها مزيد من النضـــج والتمام والتمييز •• والعقل الذى يخاطبه الاسلام هو العقل الذى يعصم الضمير ، ويدرك الحقائق ، ويميز بين الأشياء ويوازن بين الأضداد ، ويتبصر العواقب والنتائج ، ويتـدبر ويحســن الأدكـار والرواية •• ومن هذا المنطلق الاســلامى تعمق العلماء المسلمون فى علوم الحياة والحضارة الانسانية بعقلية علمية • فكان منهم نوابغ الأطباء والفلكيين والرياضيين والكيمائيين ، وأوائل مـن اكتشـفوا حقائق علمية فى مجالات كانت أول المعالم عـلى طريق الباحثين والدارسـين •• وكـان العلمـاء المسلمون ينظرون الى الكون وما فيه على انه أمور موضوعة للدراسة والبحث والانتفـاع •• ومـن الحوادث الدالة على العقلية العلمية الموضـوعة فى الفكر الاسلامى ، ما حـدث مصادفة أن كسـفت الشمس يوم مات ابراهيم ابن رسول الله ﷺ • فقال قوم : ان الشمس كسفت لموت ابراهيم فقال رسول الله ﷺ : « ان الشمس والقمر آيتان مـن آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياتـه » •

وهكذا يقرر الرسول الصادق الأمين مبدءا علميا ، ظل أبد الدهر ، هاديا الى طريق الرشاد .. وفى حادثة فيضان النيل بمصر موضوعة علمية ، تــدل على نظافة الفكر الاسلامى وطهارته . وذلك أنــه كان الاعتقاد السائد فى مصر قبل الفتح الاسلامى أن النيل لا يفيض بمائه الا اذا ألقيت فيه فتــاة حسناء لتموت فيه غرقا ، فلما حــان وقتذاك كتب الوالى عمرو بن العاص الى خليفة المسلمين عمــر ابن الخطاب فى المدينة المنورة ، عاصمة الخــلافة الاســـلامية يخبره ويستشيره فيمــا تعود عليــه المصريون فأجابه عمر ، بارسال رســالة يلقيها فى النيل ، وكان فى الرسالة : « من عمر أمير المؤمنين الى النيل . ان كنت تجرى من عندك فلا حاجة لنا بك . وان كنت تجرى بفضل الله ، فاللهم بــارك لنا » .. وبهذا قضى المسلمون على أسطورة ليس لها واقع علمى أو عقلى فى الحياة .. وبالعقليـــة العلمية كانت علوم المسلمين ، هى أساس الحضارة فى العصر الأول ، وأخذت الحركة العلمية تتدرج فى أطوار مختلفة حتى فتح المسلمون نافذة واســعة

أطلوا منها على حضارات العالم •• وكان المسلمون يعرفون المنهج العلمى حق المعرفة ، وينتقلون من المجهول الى المعلوم ، ويقومون بدراسة الظواهر دراسة دقيقة ، بقصد الانتقال من المعلول الى العلة .

ولما كان العقل فى الاسلام له هذه العناية الفائقة من التقدير ، فقد اتخذ له الاسلام منهجا فريدا فى تحريره ليظل العقل عاقلا ، والفكر راشدا •• وهذا المنهج الاسلامى يقوم على دعائم أساسية من شأنها حراسة العقل حتى لا يضل فى المتاهات الفلسفية ومن شأنها أيضا ترشيد الفكر ، حتى يعمل فى ميادين الخير ، وما يفيد المجتمع الاسلامى والانسانى .

وأول دعامة فى المنهج الاسلامى فى تحرير العقل والفكر هى تحرير الانسان من أصفاد الجهل وظلمته •• لأن الجهل يقتل مواهب الفكر والنظر ، ويطفىء نور القلوب ، ويعمى البصائر ، ويميت عناصر الحياة والقوة فى الأفراد والجماعات والأمم ،

ويفسد على أساس مناهج السلوك المستقيم ، والاستقامة •• والجهل هو الذى يجعل النفوس مستعدة لقبول الزيف والبدع والأهواء والخرافات والأساطير ••

والدعامة الثانية فى **المنهج الاسلامى** : هى تحرير الانسان من أغلال الحجر العقلى ، وسيطرة التبعية العمياء ، وتربيته تربية اسلامية ، تقوم على حرية الفكر ، واستقلال الارادة ، ليكمل بذلك العقل ، ويستقيم التفكير ، وتكمل الشخصية الانسانية • لأن كمال العقل واستقامة التفكير ، أساس فى صحة العقيدة ، وكمال التدين ، ومعرفة الحق ، الذى يجب أن يتبع ، ومعرفة الباطل الذى يجب أن يجتنب •• وقد عنى الاسلام ببناء تحرير الانسان من أغلال الحجر العقلى عناية كبرى ، فجعل البرهان أساس الايمان الصحيح ، وبين أن كل اعتقاد أو عمل لا يقوم على دلائل الحق فهو مردود ، وأنذر الذين يجادلون فى الله بغير علم ولا كتاب • قال تعالى فى سورة الحج : « ومن الناس من يجادل فى

الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله له فى الدنيا خزى ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق » ..

والدعامة الثالثة فى المنهج الاسلامى .. تحرير الانسان من طاعة الأهواء ، والانقياد الأعمى لمغرياتها . لأن طاعة الأهواء من أقوى عوامل انحراف الانسان ، فى سلوكه ، والتوائه فى نظره ، وتفكيره .. وهؤلاء الذين يطيعون الأهواء لا يستقيم لهم رأى ، ولا تعتدل لديهم موازين ، ولا يخضعون لحق ليس فى جانبهم ..

ولهذا عنى الاسلام بتحذير الناس من اتباع الهوى ونعى عليهم ضلالهم وانحرافهم . فقال تعالى فى سورة القصص : **« فان لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدى القوم الظالمين » ..**

وعن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » .

قال الحافظ الامام ابن حجر : « ان الانســان لا يكون مؤمنا كل الايمان الواجب حتى تكون محبتــه تابعة لما جاء به الرسول ﷺ ، من الأوامر والنواهى وغيرها • فيحب ما أمر به ، ويكره ما نهى عنه »••

واذا كان من شــأن هذا المنهج الاســلامى أن يطهر العقل ، ويقوم الفكر ، ويسير به فى الطريق المستقيم • فان الاسلام اتبع ذلك بمبادىء قيمــة من شأنها أن تصل بالناس الى طريق الحق والهدى والخير والسلام •

أولا : ان النــاس فى الفهم والتفكــير وادراك حقائق الأشياء ان يكونوا متماثلين ، ولا متشابهين، لأن الناس على درجات مختلفة ومراتب متباينة • فهناك فريق من الناس قد لا تهىء لــه حــالاته ، والظروف المحيطة به ، شذرات من المعرفة • وثمة فريق آخر لم تعده وراثتــه الا للســطحى مــن الأشياء ••• وكم من الناس من قصرته البيئة على القشور من الحقائق •• وكم من الناس من حصرته التربية فى دائرة ضيقة من المرئيات •• وهناك من

سجنته الخرافات والأساطير •• ومن الناس مـــن جرفه تيار المادة فلم يعد يرى الأشياء الا بمنظار مادى •• لهذا طالب الاسلام مختلف المستويـــات الانسانيـــة بالنظر والتـــأمل والتفكـــير فى ملكوت السموات والأرض • قال تعالى فى سورة الغاشية : « **أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت • والى السماء** كيف رفعت • **والى الجبال كيف نصـــبت • والى الأرض كيف سطحت** » •

وقال تعالى فى سورة ق :

« **أفلم ينظروا الى السماء** فوقهم كيف **بنيناها وزيناها ومالها** من فروج • **والأرض مددناها وألقينا** فيها رواسى **وأنبتنا فيها من كل زوج** بهيج • **تبصرة وذكرى لكل عبد منيب** » ••

وهناك كثير من الآيات التى تدعو الى التفكـــير والنظر فى السموات والأرض وما خلق الله فيهما • ليصل الانسان الى الايمان باللـــه ، فـــيرتقى الى السمو والكمال •• والانسان بدون ايمـــان بالله لا قيمة له ولا اعتبار •• ولهذا نرى المجتمعات المادية

والالحادية تساق كما تساق الحيوانات •ويسوقها قطيع من الذئـاب البشرية • وقـد حـرمت هذه المجتمعات من التفكير والنظر ، ولم يعد لأفرادها أى شأن ••

ثانيا : لم يكتف الاسلام بتوجيه الناس الى النظر والتفكر والتدبر ، بل استنهض العقـول ، ووجـه الأفهام ، وأيقظ الحواس ، ونبه المشـاعر ، وذلك بالتعقيب على بيان الآيات الكـونية والتشريعيـة والاجتماعية بمثل قوله تعالى فى سورة الرعـد :

« ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون » •

وقوله تعالى فى سورة الرعد ، وسورة الزمر ، وسورة الجاثية :

« ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » •

وقوله تعالى فى سورة طه :

« ان فى ذلك لآيات لأولى النهى » •

وقوله تعالى فى سورة يونس :

« ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون » وقوله تعالى فى سورة الرعد : **« انما يتذكر أولوا الألباب »** •

ثالثا : بشر الاسلام الذين يستمعون القول ، فينظرون اليه نظر البصير ، ويتبعون منه ما يدل على الحق ، ويهدى الى الرشد ، قال تعالى فى سورة الزمر :

((فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب)) ..

وهكذا نرى أن الاسلام قد عمل على تطهير النفوس من الأغراض الخفية والأهواء الدفينة . لأن ذلك من أكبر العوامل فى اعتدال النظر ، واستقامة التفكير .. ومن هنا كانت حملة الاسلام شديدة على الذين لا يستعملون عقولهم ، وما وهب الله لهم من قدرات ذهنية ، ضاربين فى بيداء الضلال ، ومنقادين وراء سراب كل البدع والأهواء. واذا كان الاسلام يدعو الى تحرير الانسان من أصفاد الجهل ، وأغلال الحجر العقلى ، وسيطرة التبعية العمياء — كما عرفنا فى دعائم المنهج الاسلامى فى تحرير العقل — فان ذلك يعنى أن

أن التقليد الذى ذمه الاسلام ، هو التقليد الذى لا يميز بين الخير والشر ، وتقليد أهل الغواية والضلال ، أما تقليد أهل الحق من الأئمة والدعاة ، الذين استمدوا علومهم من القرآن الكريم والسنة المطهرة ، فهو من قبيل القدوة الواعية ..

وحرية الفكر التى دعا اليها الاسلام هى الحرية التى تطلق العقول من أغلال الحجر العقلى ، والكبت الفكرى ، وتجلى معالم الحق ، وتجعل قيادة التوجيه قيادة بناء ، واصلاح ، وارشاد ، تستمد مقوماتها من هدى الاسلام ، وتعاليمه وآدابه ..

وطريق الفكر قد حدده الاسلام بالقرآن والسنة، فيما يتعلق بالقضايا الأساسية والاعتقادية فى حياة الناس .. أما ما سوى ذلك فانه يمكن أن يؤخذ عن طريق الحواس والتجربة والعقل الذى يزن كل معطيات الحواس . ولقد عبر القرآن الكريم عن هذا الطريق بقوله تعالى فى سورة الاسراء :

«ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » .

وهذه الآية تنهى عن اتباع ما لم يقم به علم يستند الى حجة سمعية أو رؤية بصرية أو براهين عقلية • وهى طرق الاستدلال التى تنحصر فى العقليات والسمعيات والمحسوسات •

لهذا كله أقبل المسلمون على العلم ينشدونه فى مظانه ، ووجهوا عزائهم على الفكر الأصيل القائم على توجيهات الاسلام ••

واننا نجدهم قد اهتموا بشىء واحد ، وعرفوا شيئا واحدا هو الاسلام والفكر الاسلامى • فانتبهوا الى آيات الله التشريعية ، وآيات الله الكونية ، وآيات الله الاجتماعية ، وآيات الله العلمية ، والعقلية ، والحضارية •• ولم يشغلهم عن ذلك ترف الحضارة ، ولم يثن عزائمهم بأساء الحياة • وأقاموا الحضارة الاسلامية التى تخطت مراحل النهوض • ولعلنا لا نكون مجانبين للصواب اذا قلنا : انه لأول مرة فى تاريخ الانسانية ترى الدنيا هذه الخطوة الحضارية التى أخذت بيد الانسان الى مراقى الفلاح ••

وقد تميزت الحضارة الاسلامية بخصائص جعلتها فريدة فى التاريخ ، وفريدة فى تحقيق ما يسعد الانسانية • وهذه الخصائص التى تميزت بها نراها فى النقاط التالية :

أولا : الايمان بالله سبحانه وتعالى وافراده بالعبادة والتعظيم •• والايمان بالله هو الدافع الاساسى للقيم الحضارية • قال تعالى فى سورة الرعد : « **الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب** » • والايمان بالله قوة دافعة تسند الضعيف أن يسقط، وتمسك القوى أن يجمح ، وتمنع المغلوب أن ييأس ، وتعصم الغالب أن يطغى ويفجر •

والايمان يملأ النفوس بالفضائل ويزكيها ، ويقوم الضمائر ، ويسدد العزائم • ولهذا كرر رب العزة النداء فى القرآن الكريم بصيغة «**يايها الذين آمنوا**»

ونداء المؤمنين بالذين آمنوا هو أمثل أنواع الخطاب ، ابانة لحقيقتهم • هذا الى جانب ماينطوى عليه من الدلالة على سموهم ومكانتهم • وفى النداء

بيأيها الذين آمنوا زيادة ايناس وتكريم ، لأن أحب شيء الى الانسان هو أن تناديه بما يدل على سموه.
والله سبحانه وتعالى بهذا النداء يشعر المؤمنين بأنه يخاطب أقرب الأشياء فيهم اليه • ومافى الانسان أقرب الى الله من الايمان به والله حينما يتوجه الى المؤمنين من خلال ايمانهم فسيكون التالى تعليما بموجبات هذا الايمان ، وحثا على القيام بها فى أى شأن من الشئون ، وفى أى درب من دروب الحياة.
وقد ذكر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين فى القرآن الكريم بهذا النداء :

« **يأ يها الذين آمنوا** » فى ثلاثة وثمانين موضعا •
والآيات الثلاث والثمانون فى جملتها تبين : أن الاسلام قد انطوى على طاقة فعالة • جعلت منه قوة هائلة ، وحضارة انسانية •

بل ان فاعلية الاسلام شملت حياة المسلمين فى جميع جوانب الحياة • وهذه الآيات كانت ومازالت أصلا جذريا يمس أساس الأوضاع فى حياة الناس والاسلام فيها يراعى حاجة الانسانية ومصالحها

الحيوية فى حدود الحق ، والفضيلة ، والعدل ..

ثانيا : ومن الخصائص البارزة للحضارة الاسلامية : أنها تقوم على خلوص النية ، ونقاء الضمير ، والتمسك بقيم الخير ، والحق ، والتزام الآداب الفردية . والاجتماعية . ومن هذا المنطلق كانت الأخلاق هى الارادة المنفذة ، والضمير الموجه .. وجملة ما يراد أن يقال : ان الأخلاق التى جاء بها القرآن الكريم شملت الحياة كلها من التعاون ، والمودة ، والعفة ، والرحمة ، والاحسان ، والصدق ، والاخلاص ، والاستقامة ، والنظافة ، والنظام ، والاصلاح ، والاخاء ، والعفو ، والصبر ، والثبات ، والتضامن ، والتكامل ، والطهر ، والعفو ، والحب ، والشكر ، والتسامح ، والسلام .. ولم يكتف الاسلام بهذا بل تأكيدا لتهذيب الاخلاق وضبط السلوك نهى عن الاعتداء والعدوان ، والبهتان ، والظلم ، والاختيال ، والبخل ، والغضب ، واللمز ، والحسد ، والاثرة ، والنفاق ، والخداع ، والاسراف ، والمسافحة ، والغش ، وقتل

النفس . ولغو الحديث . والكذب . وشهادة الزور ، والبطر . والجبن . والخلاعة ، والميوعة ، والابتذال ، والارتخاص . والنميمة . والسرقـــة . والخمـــر ، والميسر ، والخيانة ، والخصـــومة . والســـخرية ، والتنابز بالألقاب ، والتدابر ، والتباغض الى غير ذلك مما نهى عنه الاسلام وحذر من الاقتراب منه ، فرسالة الاخلاق فى الاسلام اعـــلاء كلمـــة الحق ، واقامة ميزان العدل فى الخلق .

ثالثا : ومن خصائص الحضارة الاسلامية : أنها فى الاقتصاد تقوم على تبادل المنافع ، واتخاذ المال وسيلة لا غاية . وذلك أن هذا الكون الذى نعيش فيه خلقه الله سبحانه وتعالى مما نعلم ومما لا نعلم ومما ندرك ومما لا ندرك قـــال تعـــالى فى ســـورة الأنعام : « **ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه** » فهو الذى خلق الســـموات والأرض وما فيهما من مخلوقات ، وما بينهما مـــن أجرام ، لا يحيط بها العلم ولا يدركها الوصف ولا يحصيها العد . وهو القادر على أن يخلق غيرها ان شـــاء .

اذ الخلق متعدد بمشيئته ، وراجع لأمره • قـــال تعالى فى سورة المـــائدة : «**ولـــه ملك الســموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كـل شىء قدير** » ••

والله الذى خلق هذا الكون قد سخره لخدمـــة البشر وسلطهم عليه ، بما وهبهم من أبصار وأسماع وعقول ، تساعدهم على استخدام ما فى الكون مـــن خيرات ، واكتشاف ما فيه من قوى ، واستغلال ذلك كله فى سبيل نفعهم ، واسعاد أنفسهم•قال تعالى فى سورة لقمان : « **ألم تروا أن الله سخر لكم مـــا فى السموات وما فى الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة** » ••

واذا كان الله خالق كل شىء • فهو مالك كل شىء قال تعالى فى سورة المائدة « **لله ملـــك الســـموات والأرض وما فيهن وهو على كـــل شىء قـــدير** » •

ولكن اللـــه اســـتعمر البشر فى الأرض ، وجعلهم خلائف فيها ، وسخر لهم كل ما خلق ، فى السموات والأرض • فملك الله مسخر لمنفعـــة البشر ، ولهم

جميعا أن ينتفعوا به ويستغلوه ويستثمروه ويعملوا فيه • فما فى أيدى البشر من ملك الله وثمراته • انما هو عارية ينتفع بها الناس ••

وللبشر حق الانتفاع بما فى أيديهم من مال الله • والانتفاع بالمال :

ـ قد يكون باستغلاله أو استثماره كما هو الحال فى الأراضى الزراعية والمنـاجم والمحاجر والمصانع وغير ذلك •

وقد يكون باستهلاك المال كما هو الحال فى الطعام والشراب واللباس •

ـ وقد يكون بالتصرف فى المال تصرفا شرعيـا كالبيع والوصية والهبة والصدقة ••

وللبشر أن ينتفعوا بمال اللـه فى هذه الوجـوه كلها • وحق البشر فى الانتفاع بمال الله ليس حقا مطلقا • وانما هو حق مقيد بقيود • فليس لهم أن ينتفعوا بهذا المال كما يشـاءون • وانمـا لهم أن ينتفعوا به فقط فى :

١ ـ حدود المباح •

٢ — وحسب حاجتهم لهذا المال ٠

٣ — وبالقدر الذى يكف عنهم الحاجة ويدفعها ٠

بشرط أن يكون ذلك كله مع الاعتدال دون سرف أو تقتير ٠ فليس لهم أن يسرفوا فى طعامهم وشرابهم ولباسهم وأمور معيشتهم ٠٠ قال تعالى فى سورة طه : « **كلوا من طيبات مارزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبى ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى** » ٠

ومن هنا كانت فلسفة الاقتصاد الاسلامى تستهدف مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة ، والموازنة والمواءمة بينهما ٠

ومن الثابت لدى الباحثين : أن أهداف النشاط الاقتصادى فى الاسلام ، تتحدد وفقا لمبادىء الاسلام ٠ ومبادىء الاسلام تقرر فى وضوح : أن الانسان خليفة الله فى الأرض وبمقتضى هذه الخلافة صار مسئولا عن المال من أين اكتسبه وفيما أنفقه ٠٠ ومن هذا المنطلق الاسلامى كان الاقتصاد فى الاسلام متميزا عما عداه من المذاهب

الاقتصادية ، بسياسة لا ترتكز على الفرد شـأن الاقتصاد الرأسمالى ولا على المجتمـع شـأن الاقتصاد الاشتراكى • فأن الاقتصاد الرأسمالى يقوم على المنافسة الدنيئة ، والمزاحمة ، والمصـلحة الشخصـية ، والمنفعة الذاتية والحرية المطلقة •• والاقتصاد الاشتراكى يقوم على حيوانية الانسان وقتل غريزة التملك ، ووأد كل القيم ، والفضائل الانسانية أما الاقتصاد الاسلامى فيقوم على رعاية الفرد ،ورعاية المجتمع • وتضم هـذه الفلسـفة المتميزة فى اطارها مطالب المادة ، ومشاعر الروح ، ومكارم الأخلاق ••وفى سبيل هذا الاطار الاقتصادى المتميز حرم الله الربا والغش ، وأكل أموال الناس بالباطل • وقد أثبت التـاريخ أن الذين تربوا فى مدارس القرآن هم وحدهم الذين صلحت بهم الحياة واعتدل فى أيديهم ميزان الحق والعدل••ولقد كانت الأمة الاسلامية تزدهر بالعلم والحضارة شرقا وغربا وتنتشر فيها أرقى الصـناعات على اختلافها • وما تركه المسلمون من تراث علمى لأكبر شـاهد على ذلك ••

وثبة الاسلام الحضارية

لم يخلق الله سبحانه وتعالى الانسان **فى هذا** الكون ليعبث ، أو يلهو ، أو يلعب أو ليطغى ، بقوته وجبروته ، أو يعيش فى أحضان الجهل والاتكالية قال تعالى : « **أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لاترجعون** » . وقال تعالى « **تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء** قدير **الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم** أحسن **عملا وهو العزيز الغفور** » ..
انما خلق الله سبحانه وتعالى الانسان وركب فيه ماركب من قوى الادراك والعمل لحكم سامية منها ليكون خليفة فى الأرض يعمل على اصلاحها ، واتساع عمرانها ، واظهار أسرار خالق الكون فيها ، وتدعيم أواصر الخير وأنوار السعادة فى جميع أرجائها .. قد أرشد الى هذه الحكمة كثير من آيات القرآن . منها قوله تعالى فى سورة البقرة . وهو يحدث عن مبدأ خلق الانسان : « **واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى**

الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعلم مالا تعلمون ، وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم . قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون » فهذه الآيات توحى بأن العلم أساس الحياة وسر النجاح . فالخلافة فى الأرض والسيطرة عليها وتسخير ما فيها ، واستغلال خيراتها وثمراتها وطيباتها أساس ذلك كله العلم لاغيره ..

واذا كانت هذه هى مهمة الانسان فى الحياة . وهى حكمة خلقه وحكمة الانعام عليه بقوى العلم والعمل ، وحكمة تسخير الكون واخضاعه له فى التفكير والتصريف . فلا سبيل الى قيام الانسان بهذه المهمة وتحقيق تلك الحكم الا بالعلم والمعرفة ..

ولم يكتف الاســلام بهذا • بل فتح مجال العلم للعقل الانسانى وتعدى به أسوار الطبيعة وتغلغل به فى أسرار الحيــاة • قال تعــالى : « **فلينظر الانسان الى طعامه أنا صــببنا الماء صــبا • ثم شققنا الأرض شقا • فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا • وفاكهة وأبا • متاعا لكم ولأنعامكم** » •

وقال تعالى : « **فلينظر الانسان مم خلق •خلق من ماء دافق •يخرج من بين الصلب والترائب** » • وقال تعالى : « **وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين** » •• هــذه الآيات وما جرى مجراها قد فتحت للعقل الانسانى آفاق الكون ، وبينت له طريق التأمل والمشــاهدة والتفكير فى ملكوت السموات والأرض لاســتنباط الحقائق وما يفيد المجتمع • وتلك دعوة صريحة الى العلم حظيت بها الانسانية منذ أربعة عشر قرنا من الزمان ، ودعوة صريحة صادقة الى اتباع الأسلوب العلمى ••

والاسلام قد وثب بالمسلمين وثبة هائلة • وهذه

الوثبة الهائلة كانت على اثر اشعاع القرآن الكريم فى جنبات الدنيا والانسانية فأنارهما بعد ظلمة . وهدى الانسانية بعد حيرة . ونظمها بعد اضطراب وفتق أذهان أبنائها بعد ارتتاق . وكان من ذلك أن نبه على وجوب النظر فى الكون العام وفى النفس الانسانية وفى الأسباب والمسببات .. فكان بهذا مصباحا أضاء الدنيا . وأنار افق الانسانية وأشرق بالمعرفة الصحيحة ..

والباحث المنصف يرى أن الاسلام فى وثبته قد وضع أسس المعرفة التى تهدى الانسان الى مايفيد .

والمعرفة فى الاسلام لاتقوم على نظرية تحتاج الى دراسة وتأمل . وانما على أساس التعادل بين الكم والكيف وبين المادة والروح . وبين الغاية والسبب ، وبين الدنيا والآخرة ، فلا افراط ولا تفريط . لقد ربط الاسلام بين الحواس المرهفة وبين العقل الباحث المنظم أو الوجدان النقى .. وكل ماجاء فى القرآن فى الحث على التفكير دليل

على مكانة العقل ، والعلم ، والمعـرفة ، فى نظـر الاســلام • اذ العقل آلة التفكير ، والعلم ثمرة التفكير • فكل مـــاورد فى القرآن حثا على التفكير هو اعــلان عن فضــل العلم وايحاء بالعمل على تربيته وتقويته • وهو فى الوقت ذاته تسجيل لفضل العلم حتى يتمكن الانسان من الحقائق وتزول عنه غشاوة الجهل ، ويتحرر من رق الأوهام والخرافات التى لاصلة لها بواقع الحياة ••

وبهذا كان الاسلام دين الفكر والعقل والعلم • وقد ارتفع القرآن بالعقل وقــدره حق التقدير • وجعله ميزة الانسان • قال تعالى : « **أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بهــا أو آذان يسمعون بها** » ••

وبناء على التوجيهات القرآنية للناس بالنظر والدراسة • انطلق المســلمون يدرسون ويبحثون ويقعدون القواعد ، ويؤصــلون الأصول • ولقد اشتملت توجيهات القرآن العقلية على أصـــول ومبادىء عامة صـــلحت لأن تكون منهجا فكريا

سليما ، حدد به المسلمون موقفهم من مشاكل الكون والحياة .

واستطاعت هذه التوجيهات أن تمكن المسلمين من الاستفادة من تلك الدرة الالهية التى منحها الله للانسان . وهى العقل . فنمته وجعلته يمارس الوظيفة الأساسية التى خلق منأجلها . حتى كانت للمسلمين حضارة وعلوم ، ومخترعات ، حضارة عالمية لن ينسى التاريخ دورها فى تحويل مجرى الانسانية ولن تنسى الانسانية دور المسلمين فى بناء الحضارة بأصالة وعمق ..

كانت هناك تشريعات وفلسفة ، وقوانين ، وطب وفلك ، وأدب ، واجتماع ، ورياضيات ، وتاريخ ، وجغرافيا ، وفنون ، وآداب للسلوك والاجتماع . وكان لكل هذه العلوم والفلسفات أساتذة عباقرة كأئمة الحديث ، ورجال الفقه ، الذين ضبطوا أساليب النقد ، وقعدوا قواعد التشريع ..

وفوق هذا وذاك فقد كان المسلمون هم واضعو طريق البحث العلمى التجريبى الذى كان أساسا للحضارة الأوربية الحديثة .

ويكفى فى هذا أن نستشهد باعتراف العـــلامة « بريفولت » : « ان الأوربيين درسوا عن العرب طريق البحث العلمى التجريبى وانه لم يســبقهم اليها باحث أو مفكر » ..

تلقى المسلمون هذه الينابيع من مصـــادرها الأصلية ، واستقرت دعائمها فى نفوسهم ، فكانت الرائد الأمين للعقول ، والأفهام ،والغذاء الروحى للغرائز ، والمواهب . وهذه الينابيع طبعت الناس على استقلال الارادة ، وحرية الفكر ، كما كرهت اليهم التقليد والتبعية العمياء . ووجهت العقــول للبحث والانتاج ، وفتحت لهم ميــادين العلــوم والفنون . فأقبلوا عليها سراعــا ودخلوهــا من كل باب . وبهذه النهضة العلمية الجبــارة اســتطاع المسلمــون أن ينشروا العلم والحضــارة . وكان وأصبح هناك : قادة ، وحكام ، ومدن وعواصم ، ومعاهد ، وجامعات ، ودول ، وممالك . لم يشهد التاريخ مثيلا لها .. كل هذا كان بفعل الاتجاهات العقلية الكامنة فى الانســـان والتى جعلت من المسلمين أساتذة للعلوم يدرسونها للأجيال المعاصرة

كأحسن ما يكون الـدرس والتعليم ، ويدونونهـا للأجيال المقبلة كأحسن ما يكون التأليف والتدوين ، وينشرونها فى شـعوب كـانت تائهة فى متـاهات الفلسفة .. فقد كانت بعـوث الأمم تفـد على العواصم الاسلامية من كل ناحية . فيأخذون عن علمائها ما شاءوا من أفانين العلوم وألوان المعرفة. ثم يعودون الى بلادهم حاملين اليها مشاعل هـذه العلوم التى نفخت فيهم روح الحياة . وفتحت لهم طريق الانتفاع بأصلين عظيمين من أصول الاصلاح الاسلامى وهما : حرية الفكر . واستقلال الارادة. فلم تنهض العقول للبحث ، ولم تتحرك النفوس للعمل ، الا بعد أن عرفت أن لهـا حقـا فى طلب الحقائق ..

ولقد تلمست أوربا حضارة المسلمين العلميـة . فاستقت من روافـدها المعـرفة والفلك والجبـر والهندسة والكيمياء والطب والفلسفة وعلوم النبات والحيوان . وسائر أنواع الفنون الحضارية ..

وبنى رجال أوربا بما تعلموه فى معاهد المسلمين بالأندلس . وبما نقلوه من علوم : أسس النهضـة

الحديثة التى ظهر نجمها فى القرن الثامن عشــر ، وازدهر فى القرن التاسع عشر ، وتألق فى القــرن العشرين .

والاسلام بدعوته الى العلم هــو الذى خرج رجال الحضارة ، وجهابذة الفــكر ، أمثــال : ابن الهيثم ، والكندى ، والفــــارابى وابن ســـــينا ، والبيرونى ، والطـــــوسى ، والبغـــــدادى ، والدينورى ، والــرازى ، والحــكيم الترمذى ، والقـــزوينى ، والانطـــــاكى ، والزهـــراوى ، والخوارزمى ، والصوفى ، والجاحظ ، وابن حيان ، وابن البيطـــــار ، وابن النفيس ، والادريسى ، والمسعودى ، وابن بطوطة ، وابن خلدون ، وغيرهم من رجال البحث والتخصص ..

وهذا ابن الهيثم يبحث فى السهول والأوديــة ، ويجول فيها طولا وعرضا ، حتى يضع قواعد علم الضوء .

وأبن الدجيلى يسهر على قمم الجبال العالية يحدق فى الكواكب والنجوم ، ليحدد أفلاكها ، ويعــرف أبعادها ..

وابن النفيس يجرى التجارب والاختبارات حتى يثبت أن الدم ليس سائلا مستقرا فى الأوردة والشرايين المبثوثة فى الكائن الحى • بل هو سائل متحرك ، يدور فى جميع أجزاء الجسم • وذلك قبل أن يكتشف « هارفى » الدورة الدموية بثلاثة قرون •

وجابر بن حيان يحلل عناصر الطبيعة ، وتفاعل المواد المختلطة ، حتى يضع أصول علم الكيمياء ، ويكتشف آثار التفاعلات الكيميائية وابن يونس يسبق العلماء فى الشرق والغرب فى اختراع بندول الساعة « الرقاص » •• هذا كله فى الوقت الذى كانت فيه أوربا تعيش فى ظلمات الجهل والفوضوية والأمية والهمجية والتأخر • ولم ينقذ أوربا من ورطتها التى كانت واقعة فيها الا حضارة المسلمين ، ومازالت أسماء العلوم والمصطلحات التى أعطاها هؤلاء العلماء المسلمون لغرائب المخترعات • مازالت حية نابضة فى اللغات ، رغم ما نالها من تحريف وتغيير ••

ولقد سجل التاريخ آيات هذه الحضارة

الاسلامية . وشهد بها المنصفون من فلاسفة العالم ومؤرخيه الذين لا يبغون من بحوثهم ودراساتهم الا مرضاة العلم فى ذاته . يقول « دربير » المدرس فى جامعة « هارفارد » بالولايات المتحدة الامريكية فى كتابه « بين العلم والدين » : « ان نتائج هـذه الحركة العلمية تظهر جليا بالتقدم الباهر الـذى نالته الصناعة فى شعور ازدهار الحضارة العربية . فقـد اسـتفادت منها فنون الزراعة فى أسـاليب الرى والتسميد وتربية الحيوانات ، وسنن النظم الزراعية المحكمة وادخال زراعـة الأرز وقصـب السكر والبن . وقـد انتشرت معـامل العـرب ومصنوعاتهم لكل نوع من أنواع المنسـوجات كالصوف والحـرير والقطن . وكـانوا يذيبـون المعادن ، ويجودون فى عملها على ما حسنوه وهذبوه من سبكها وصنعها . اننا لنـدهش حين نـرى فى مؤلفاتهم من الأراء العلمية ما كنا نظنه من نتـائج العلم فى هذا العصر . وان جامعات المسلمين كانت مفتوحة للطلبة الأوربيين الذين نزحوا اليهـا من بلادهم لطلب العلم . وكان ملوك أوربا وأمراؤها

يفدون على بلاد المسلمين ليعالجوا فيها » ..

ويقول : « سديو » فى كتابه : « تاريخ العرب » :
« كان المسلمون فى القرون الوسـطى منفـردين فى العلم والفلسـفة والفنون وقد نشروها أينمـا حلت أقدامهم وتسربت عنهم الى أوربا . فكـانوا هم سببا لنهضتها وارتقائها » ..

ان هذه الأقوال التى كتبها علماء لهم مكـانتهم العلمية توضح لنا صراحة وضمنا وجملة وتفصـيلا. مدى فاعلية الحضارة الاسـلامية التى لمسـت الانسانية فيها معانى السيادة ، ومست القلـوب فيها معانى السـعادة ،واعتلت فى ظلهـا صروح المجد ..

العلم والــدين

العلم والدين : كلمتان من أكثر الكلمات تداولا ، وشيوعا ، واستعمالا فى عالم الانسانية قديمــا وحديثا •• ولكل كلمــة من الكلمتين مدلولهــا ، ومفهومها ، ووقعها ••

فالدين هو الأمور الاعتقادية التى جاءت مــن طريق الوحى الالهى وهو ضالة الأرواح ، وأنشودة العواطف ، وبلسم جراح الحياة ، نسيم الطمأنينة، والأمن والأمان ، ومهب نفحات الحق ، وهو واحد لا تعدد فيه بعث الله به الانبياء ، وأرسل الرسل ••

قال تعالى : ((**كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين**)) وجاء فى دائرة معارف القرن العشرين حرف (دال) : أن الــدين هــو الطاعة والانقياد وأسم لجميع ما يعبد به الله ••

والعلم لغة بمعنى المعرفة ولا حاجة بنا الى أن نستشهد بكل ما ورد فى المعاجم • ففى لســـان

العرب لابن منظور مثلا : علمت الشيء أعلمه علما عرفته .. وعلم بالشيء : شعر به . وعلمت بالشيء بمعنى عرفته وخبرته ..

والعرفان : العلم . وعرفه الأمر علمه اياه . والتعريف : الاعلام . ومثل هذا فى سائر المعاجم اللغوية ..

والمعنى المشارك فيه هو مفهوم لفظ الادراك ويمكن أن تقول ادراك النفس على الوجه العام الشامل حسيا كان أو ذهنيا . فالاحساس والشعور . وادراك الأشياء وتصورها . وفهم معانى الالفاظ مفرداتها ومركباتها ومؤلفاتها . ما يعقل وما يتخيل . وما يتوهم . كل ذلك يصح لغة أو لعله يصح أن يؤدى حصوله فى النفس لفظ العلم ولفظ المعرفة على حد سواء ..

والعلم ضربان : ادراك ذات الشيء .. الثانى : الحكم على الشيء .. بوجود شيء هى موجود له . أو نفى شيء هو منفى عنه ..

والعلم نظرى وعملى .

فالنظرى : ما اذا علم فقد كمل . نحو العلم

بموجودات العالم .

والعلم العملى : مالا يتم الا بـأن يعمل بـه كالعلم بالعبادات والمعاملات ..

وترى الدراسات العلمية : أن العلم هو مجموع المعارف الانسانية المؤيدة بالدلائل الحسـية . والعلم لا يعترف بمسألة الا اذا قبلها العقل وأيدها الحس وقبلت الخضوع لأسـلوبه من الاختيـار والمراجعة والتمحيص والغربلة ، والتحقيق .

ويطلق العلم أيضا : على ما يضاد الجهـل على الاطلاق . وقد يقصد بالعلم تلك المعرفة الرياضية والطبيعية التى قامت على تجـارب وثيقـة والتى وصل عن طريقها الانسان الى كشف قوة البخـار والكهرباء والذرة والفضاء الى ما شاء الله .

واذا كانت هذه التعـاريف تعطى فى مضـمونها المعنى الواضح لكلمتى : « الدين والعلم » فهـل يجتمعان أو لا يجتمعان ؟

فى نظر الماديين والطبيعيين : أن العلم والدين نقيضان لا يجتمعان ،وضدان لا يلتقيان . فمفهوم

العلم عندهم لا يعدو حدود الطبيعة ولا يجتـــاز أسوارها .

يقول العالم الطبيعى الملحد « هكسلى » يطلب العلم حقائق الكائنات الطبيعية بواسطة الحواس مع الاستعانة بجميع ما عرف من أنواع الآلات . ويرى العالم المادى « بلفور » أن العلم يتـوقف فى تحصيله والتثبت منه على المقاييس ، فكل مـالا يقبل القياس من الأشياء ، فهو خارج أو يكاد يكون خارجا عن حدود الطبيعة ..

ويقول « وندل » : العلم سواء استعان بالآلات أم لم يستعن عماده ما يلاحظـه الانسان ويحســه من الكائنات . ما تهديه اليه المعــامل الكيمـــائية والتجارب والآلات التى تمكنه من انتزاع غوامض أسرار الطبيعة من مكامنها العميقة ..

تلك هى معرفة علماء المادة والطبيعة والشيوعية. وما ورد وراء هذا القدر الضئيل يريد العلمـــاء الماديون أن لا يصلوا اليه . ولا يجهدوا أنفسهم فى البحث فيه ..

فما هى الطبيعة ومن الذى أوجدها ؟

ومن الذى يمسك الأرض والسموات أن تزولا ؟ ذلك وغيره مما يتصل بالعقيدة والدين غير وارد فى تفكير هؤلاء الباحثين لعوامل شتى جعلتهم كالحيوانات .

والحقيقة التى لا يستساغ انكارها : أن العلم والدين يلتقيان فى اسعاد البشرية ورفاهية الانسانية والوصول بالناس الى ما قدر من الخير والسلام والسعادة والنجاح ..

غاية العلم الكشف عن الحقيقة وخدمة الانسانية فى الحياة . وغاية الدين اسعاد الانسانية فى الحياة الدنيا وفى الحياةالآخرة فالدين طريق لمعرفة الحقيقة ، ودعوة الى العلم النافع المفيد والعلم أداة لمعرفة الحقائق ودعوة الى الايمان بالله . اذن وبدون مجانبة للحق يمكن أن نقول : ان الدين يعطى المعرفة عن طريق الوحى الالهى . على حين ينشد العلم المعرفة عن طريق البحث والملاحظة والاختيار والتجربة والنظر .. والعلم يصف

ويحلل والدين يأمر ويبني ما ينبغي أن يكـــون • وقد يستطيع العلم أن يفيدنا ما هـــو الانســـان ؟ وكيف أصبح على ما هو عليه • ولكن الـــدين وحده هو الذي يخبرنا لم يعيش الانسان ؟ قال تعالى :

« أفحسبتم انما خلقناكم عبثـــا وأنكم الينـــا لا ترجعـــون » ••

وقال تعالى : **« تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شيء قدير • الذى خلق المـــوت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا » ••**

والدين وحده هو الذي يخبرنا أيضـــا الى أى غاية يجب أن توجه حياة الانسان ، وتخلص مـــن هذا الى أن التطور العلمى ، والتقـــدم الفـــكرى لا يتعارضان مع الدين الاسلامى فى شيء أبدا •• حقيقة أن موضوع العلم وطرق البحث وأســـاليب المعرفة تختلف عنها فى الدين ، ومع هذا لا يناقض أحدهما الآخر •• والاسلام ينظم الحيـــاة مـــن جميع وجوهها فهو نظام عالمى يوجه الانســـان فى الحياة ويساعده على أن يحصل لنفسه وللجماعات الانسانية أسمى درجة من الكمال الانســـــانى فى

فى الروح والخلق والمادة والعقل والقيم والتقدم ٠
وكل تكييف لعمل الانسان فى ظل الاسلام حسب تعاليم الاسلام يعتبر عبادة مشروعة ٠ لهذا كله فسح الاسلام مجال العلم للفعل الانسانى وتعدى به أسوار الطبيعة وتغلغل به فى مباحث الكون والحياة ٠ ولم يقف به عند حدود الماديات الطبيعية بل تعداها الى كل شىء فى الحياة يفيد الانسان ويعود عليه بالسعادة ٠ والاسلام لا ينسجم مع نتائج البحث العلمى والعقلى فحسب ، بل جعل متابعة البحوث وطلبها واجبا دينيا يؤجر عليه الانسان المسلم ، وكلمة العلم فى القاموس الاسلامى كلمة مطلقة لم تخصص بمادة معينة من مواد العلم قال تعالى :

« هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون »

وقال تعالى : « **وما يعقلها الا العالمون** » ٠

وقال تعالى : « **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** » ٠

الى غير ذلك من الآيات التى وردت فيها كلمة العلم مطلقة دون تقيد بمعلوم مخصوص أو منظور

مخصوص •• ويرشد هذا الاطلاق فى مضمونه الى أن العلم فى نظر الاسلام ليس خاصا بعلم الفقه والاصول والاحكام وانما يشمل كل ادراك يفيد الانسان فى القيام بمهمته فى الحياة ، فادراك الصناعة وآلاتها وما يصلح به النبات •• وما تستنبت به الأرض وادراك ما يصلح الحيوان ويزيد فى الثروة الحيوانية • وادراك الامراض وعللها وكيفية الوقاية منها وعلاجها وادراك وسائل القوة والدفاع • كل ذلك علم •

ولقد جاء الايماء بهذا كله واضحا فى القرآن الكريم • وبه كان العلم بمعناه الشامل : العنصر الأول من عناصر الحياة فى الاسلام • فالعلم فى القرآن الكريم يشمل كل أنواع المعرفة التى تتصل بكل ما ينفع الناس فى دينهم ودنياهم وفى معاشهم ومعادهم وفى أجسادهم وأرواحهم •• •• وهذا أمر طبيعى باعتبار الاسلام نظاما كاملا خالدا ينظم شئون الدين والدنيا ويقيم الحياة الصحيحة ••

والوسائل التى اتخذها الاسلام لنشر العلم

تعتمد على خطوات أهمها :

أولا : التأمل والنظر والدراسة والتدبر فى ملكوت الأرض والسموات وما خلق الله من كائنات : قال تعالى « **أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد . والنخل باسقات لها طلع نضيد . رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج** » ..

الى غير ذلك من الآيات التى تدعو الى النظر واستعمال الفكر والعقل ..

ثانيا : البحث العلمى بالانتشار فى أقطار الأرض لدراسة الجبال والأنهار والصحارى والبحار . ومعرفة النبات والحيوان ووسائل الاستفادة من كل هذه الأشياء والكائنات ..

قال تعالى : « **الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من**

الثمرات رزقـا لكم وسـخر لكم الفلك لتجـرى فى البحر بأمره وسخر لكم الأنهـار • وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار »••

فالله سبحانه وتعالى لم يخلق لنا هذه الكائنات عبثا وانما سخرها لنا لننتفع بها بعد دراسة أساليب هذا الانتفاع على أن نستخدم أيسر السبل وأسهل الوسائل لهذا الانتفاع •

ثالثا : الاستفادة مما تركه السابقون من معارف وعلوم وآثار ليمحصوها ثم يضيفوا اليها ما يهديهم اليه البحث والاستنباط من حقـائق ونظريات •• وهناك كثير من الآيات فى السير والنظر والالفاظ والتنبيه •

رابعا : الرحلة فى طلب العلم •• والرحلـة فى طلب العلم من أشرف الرحلات على الاطـلاق • ولهذا شد المسلمون الأولون الرحال •• وقطعـوا الفيافى وجابوا البحار ، فى طلب العلم • فنهضـوا بالثقافة • وأسسوا أرقى حضارة •

الاســلام حضــارة الانســان

الحضارات الانسانية ليست ملكا لأمة بعينها مــن الأمم • ولا هى وقفا على جمــاعة من النـــاس ولا تفردت بها عقليات خصصت لها ، لأنها صرح هائل قد أسهمت فيه كل أمة بنصيب ••

والحضــارات الانســانية محكمــة التــرابط متينة الحلقات يؤثر السابق منهــا فى اللاحــق ، ويتأثر الحــاضر منها بالماضى ويســتمد المســتقبل ما يجىء بهالحاضر ••

وقد تتشابه الحضارات الانسانية فى مظــاهرها وفى عناصر تكوينها وفى أسلوبها ولاســيما اذا تعايشت فى جهات متقاربة •• وان كانت المقومات تختلف من حضارة الى حضارة •

ويمتاز الاسلام بأنه دين الحضارة الانســانية بمعنى أنه كان منذ اشراقه ووثبته الهائلة دين عبادة ودين معاملة •• وأنه أنشأ لونا من الحضارة عرف

بأسمها وهى « الحضارة الاسلامية » والحضارة الاسلامية حضارة انسانية بكل مافى هذا المفهوم من معنى وأصالة وعمق • ولذلك كانت الحضارة الاسلامية تمقت التعصب ولا تقبله ، وتنهى عن الاقليمية ولا ترغب فيها ، وتحذر من الجمود والاتكالية •

ومفهوم كلمة الحضارة مفهوم عربى أمدتنا به اللغة العربية وقد تطور مع الزمن ولاسيما فى تاريخ الحياة الاسلامية حتى أصبح هذا المفهوم يعنى : « كل عمل أو نتاج تتمثل فيه الخصائص الانسانية الفكرية والوجدانية والسلوكية » وبعبارة أخرى : الحصيلة الشاملة للمدنية والثقافة ومجموع الحياة كلها فى صورها وأنماطها المادية والمعنوية •

ولئن كان الدين الاسلامى امتاز بأنه مؤسس الحضارة الانسانية من حيث الاهتمام بحرية الفكر واعزاز حرية وحقوق الانسان وتشجيع العلم والدعوة الى المساواة بين الناس فى ظل اخاء شامل وعدل تام واعتزاز بالمثل العليا والقيم الأخلاقية

السامية فان واقع الأمر يعنى للباحث والدارس أن الحضارة الاسلامية أستمدت مقوماتها من الاسلام ذاته لأن الاسلام اطار للانسان الحى والمجتمع القوى للانسان صاحب الارادة والعزم وللمجتمع العطوف المتواد ..

واذا كان ظهور الاسلام قد سبقته فى الجزيرة العربية وما جاورها من بلاد وأمم ، حضارات أقدم منه كما سبقته فى البلاد والمجتمعات التى انتشر فيها ألوان من الحضارات القديمة ذات الطابع المحلى أو الاقليمى . فان الاسلام استطاع أن يضفى على المجتمعات التى دخلت فيه ، لونا من المعاملات والعلاقات الانسانية والاجتماعية . واستطاع الاسلام أن يحتوى فى فكره الحضارى على امتداد زمانى فى الفكر الدينى ، يعرض لقضية البشرية كلها من نشأتها الى غايتها فى دقة ، وعمق ، ووضوح :

١ — على شمول موضوعى يغطى مجالات الحياة جميعها اقتصادية ،واجتماعية ، وعقدية ، وتربوية، وفكرية ، وأحداثا تاريخية ..

٢ — على استمرارية « الاسلام » الذى هو دين الأنبياء جميعا • لكنه جاء على يدى الرسول محمد ﷺ شاملا لكل البشر ولكل العصور وهو غير قابل للتبديل ••

٣ — على شمول للدعوة الاسلامية وأنها لا تقتصر على جنس دون جنس أو قوم دون قوم • وانما تنظر الى الانسان فى جوهره ، وترد التفاضل الى التقوى ••

والدعوة الاسلامية قد واتتها ظروف الانتشار فى النطاق العالمى وبالتالى تمكن الاسلام الحقيقى من أن ينشر الطابع الحضارى الخاص به كعقيدة للحياة الاجتماعية فى نظمها المادية والروحية والنفسية ••

ولهذا أصبح الدين الاسلامى مقوما أساسيا من مقومات الحضارة الاسلامية ومن هنا انطوى التفاعل الحضارى الاسلامى مع ألوان الحضارات الأخرى التى التقى بها على قوة وعطاء غلبت كل التحديات التى تواجه الانسانية فانتشر الطابع الحضارى الاسلامى فى فاعلية لم يعرف التاريخ لها

مثيلا ومما يذكر أن قوة انتشار الاسلام وترسيخ معالم حضارته الانسانية قد تضاعف بفعل مقومات أخرى • منها تنوع السلالات التى دخلت فى الاسلام ومنها البيئية بعوامها المحلية •ومواقعها الجغرافية ومنها العنصر البشرى والتكوين السكانى يضاف الى كل هذا ظاهرة أخرى ترتبت على كل هذه الأمور وهى ظاهرة الاتصال والاستمرار الزمنى فى الحضارة الاسلامية •

ان الحضارة الاسلامية تتميز بأن مقوماتها الجوهرية تنبع من رسالة الاسلام التى جاءت لانقاذ البشرية من وهدة الضياع والنسيان • ورسالة الاسلام تمد الحضارة بالتوجيه والموازنة بين مطالب الروح ومطالب البدن •

وبالرؤية العقلية والعلمية تلاحظ أن رسالة الاسلام وصلت بين قديم الحضارات وجديدها بما حفظت من تراث الأقدمين النافع وبما أضافت اليه من انسانية الحضارة فى جوهرها وصميمها وقيمها وأهدافها لتعبر عن القيم الرفيعة وتصور تقدم الانسان فى مستوى الانسانية •

ويرى العلماء أن الحضارة بما لها مـــن جوانب عديدة تصور الانتاج البشرى هى قيم تعلو الأفراد كأفراد ولكن يجب أن تظـــل العـــلاقات بينهم أى المفروض فى العلم والقانون والدين والفن وقواعد السلوك والاخلاق أن تكون موضوعية لا شخصية • أن يكون اعتبارها عاما وليس للبعض دون البعض الآخر • وأمارة حضارية هذه الجوانب من الانتـــاج الانسانى أن يكون لها الطابع الانسانى العام • أن تكون الفلسفة فوق الشعوبية ، والعلم فوق مجال البيئة ، والقانون فوق الفئوية ، والدين فى تفسيره فوق المذهبية والطائفية ، والفن والأدب للتعبير عن الحياة الانسانية فوق الحيوانية وقواعد السلوك والاطلاق فوق أوهام اليســـار واليمين لتحـــديد الطريق الوسط المستقيم وحده •

ومن هذا المنطلق الاســـلامى كانت الحضـــارة الاسلامية حضارة انسانية متميزة فريدة فى عالم الوجود وليس كل عمل يصدر من الانسان يسهم فى الحضارة الانسانية وانما ذلك العمل الذى ينمى الحضارة الانسانية وكان العلماء المسلمون فى الدولة

الاسلامية لا يعرفون الجنسيات ولا الحدود ولا الأواصر اللغوية ولا التاريخية فقد يولد الواحد منهم فى بلد ، وربما يتعلم فى بلد آخر ، وقد ينشر العلم فى بلد رابع ، ويعبر عن هذا الكاتب الاسلامى أحمد أمين فى كتابه « ظهر الاسلام » فيقول « ترى العالم فى المشرق فاذا هو فى الاندلس ، وربما هو فى الاندلس ، اذا هو فى العراق ، وفيما هو فى العراق ، اذا هو بمصر والشام ، لا يعوقهم فقر ولا يفت فى عزمهم صعوبة الطريق وأخطاره ، سواء عليهم الصحراء وحرها والبحار وأمواجها . اذ تغلغل فى نفوسهم اعتقاد أن طلب العلم جهاد فمن مات فى سبيله مات شهيدا . هذا الى أن العلم عند كثير منهم أصبح مقصدا لا وسيلة يقصد لذاته سواء أنتج فقرا ، أو غنى ، وحياة أو موتا ومن حق القلم أن يكتب عن الحضارة الاسلامية واسهامها فى الفكر الانسانى ومن حق القلم أن يحذر من الاقليمية والشعوبية والعصبية فان هذه أمور تشكل أزمة نفسية خطيرة تقف حجر عثرة أمام تقدم الحضارة الاسلامية ، ولعلنا ولهذا السبب نجد

الاسلام فى توجيه الانسان يقدر الكيف والنـــوع أكثر مما يقدر الكم فقوة المسلمين ليست فى قـــوة العضلات والتهريج بقـــدر ما هى فى قـــوة القلوب والأعمال . وقوة العقول بالمعارف وقـــوة الارادات بالسلوك المستقيم ..

وقد أسهم المسلمون فى بناء الحضارة الانسانية عندما حققوا مبادىء الاسلام وترجموا عمليـــا توجيهات القرآن الكريم ..

عــودة ومســتقبل

حضارة الاسلام ــ بما لها من أصول ومقومات ــ ستظل خالدة خلود الأبد .بما كان لها من آثــار وتراث ، باقية بقاء الدهر ، مدويــة دوى الأذان ، لا ينضب لها معين ، ولا ينتهى لها مدى ...

واذا كانت الأمة الاسلامية تشهد عودة أبنــاء الاسلام الى الاسلام . والعالم فى الشرق والغرب يشهد صحوة اسلامية تشده الى الاسلام .

واذا كانت الحضارة الاسلامية لها من الدعــائم والأصول والمقومات ما وصل بها الى ذروة ما قدر للانسانية من التقدم . ولهــا من التعــاليم والقيم والأداب ما يسمح لها أن تكون لها فلسفتها الخاصة بوجودها ..

اذا كان الأمر ــ كما ذكرنا ــ فهل يمكن لهــذه الحضارة أن تعود الى اشراقها من جديد فتســاهم

فى اعطاء الحضارة الانسانية ما تأمله الانسانية من الطمأنينة والسعادة ، والأمن ، والأمان ، والاخاء الصادق ؟ أن الباحث بعمق ، والدارس لأحوال الأمم والحضارات يجد أن التاريخ الفكرى فى الأمم المختلفة كان يسلك سبيلا واحدة ، ويتدرج درجات معينة حتى لقد جد الباحثون فى العصر الحديث فى استخراج قوانين طبيعية لسير العقل البشرى فى فى الأمم • وذكروا أن الأطوار التى تمر بها الأمم خمسة : هى :

أولا : عصر سرعة التصديق واعتناق الأوهام والخرافات •

ثانيا : عصر الشك ، والحيرة ، والتحرى •

ثالثا : عصر العقيدة والايمان •

رابعا : عصر العقل ، والفكر ، والحضارة •

خامسا : عصر الهرم والشيخوخة •

واذا أراد أحد من الباحثين أن يطبق هذه القوانين التى استنبطها العلماء المتتبعون لحركة تطور الحضارات • اذا أراد أن يطبقها على الفكر

الاسلامى وجد أن ذلك غير ممكن • وذلك لأن الفكر
الاسلامى يستمد أصوله من القرآن الكريم وسنة
الرسول الصادق الأمين • وما كان مستمدا من أصول
الاسلام كان أقوى من الأطوار التى جاء بهـــــا
الباحثون •

والفكر الاسلامى الأصيل يقوم على الثقافـــة
القرآنية وهدى رسول الله محمد ﷺ • ولهذا كان
الفكر الاسلامى لا يقبل الزيف ، ولا الخلط بينـه
وبين غيره من الأفكار ، كما لا يقبل أن يؤخذ بعضه
ويترك بعضه • والفكر الاسلامى غنى كــل الغنى ،
كامل متكامل ، يفى بحاجات الانسانية • ولكن هذه
الأصالة تحتــاج الى رجــال مــؤمنين لا يتأثرون
بالسراب الخـــادع ، ولا ينخـــدعون بمعروضـــات
الأمم • وبعد هذا كله يكون المسلمون فى حاجة الى
رجال يحسنون عرض الفكر الاسلامى حتى لا يتأثر
الناس بالذوبان والانسلاخ • ان فكر الأمة يعانى
أزمة نفسية حادة ، كما يعانى اضطرابا فى كثير من
الأمور • نتيجة لارتماء الكثير فى أحضـــان مذاهب
دبجها سماسرة الالحاد والتخريب ، ومن الحقائق

التى لا يسوغ انكارها أن توجيهات الاسلام كفيلة بأن تجعل الأمة الاسلامية فى وضع يسمح لها بأن تنمى فلسفتها الخاصة بها والتى تنبع من القرآن الكريم والسنة النبوية • ويتضح ذلك من الحقائق التالية :

أولا : ان العالم الاسلامى يشمل منطقة جغرافية تمتد من المحيط الباسفيكى شرقا الى المحيط الأطلسى غربا • مجتازة جاليات ودولا اسلامية ذوات طاقات بشرية واقتصادية وعقلية وحضارية لا حدود لها • ومنطقة العالم الاسلامى تتميز بأنها:

١ — تقع من العالم موقع الحزام من جسم الانسان ، بعيدة عن القطبين ، وسالمة من الأعاصير والطوفانات والثلوج والبراكين • ولها دفء معين يساعد على تنوع الحاصلات الزراعية ، وتناسل الحيوانات البحرية والبرية ••

٢ — وأنها تمتلك من شواطىء البحار الكبيرة والصغيرة ما يمكنها من الاشراف على عدد كبير من أعظم موانى العالم• كما أن بها من الأنهار والمنابع

مـا يجعلها أخصـب المنـاطق ، وأكثرها ازدهارا ونماء ..

٣ — وأن فيها من موارد الحضارة كالماء والنفط والمعادن والحاصلات الحيوانية والزراعية ما يمكنها من اغناء الحضـارة الانسـانية وزيـادة الأمـن والرخـاء

٤ — وبها من مواطن السياحة ما يرقى بها الـى أسمى ما قدر من المجد والسؤدد والتقدم ، ممـا يجعل الخلف على اتصال بتراث السلف ..

٥ — وان التجانس المذهبى بين سـكان العالم الاسلامى يجعل المنطقة فى منأى عـن الانشـقاق الملحوظ فى المذاهب الأخرى ، ويقرب بينها ، ويحفظ وحدتها ، ويزيدها تفاعلا وتفتحا وتقـدما . وتلك أمور تجعل الأمة الاسلامية قوة مرهوبة الجانب ، مخطوبة الود . يتهيب الحاقدون والطامعون بأسها ، ويخشون سلطانها . وتلك أيضا أمور تجعل الأمـة الاسلامية مهيأة للاسهام فى بناء الحضارة الانسانية، وانقاذ البشرية من الهوات السحيقة التى تعرضها

للتروى والفوضوية والاباحة والاستعمار ..

فأنت ترى أن الله سبحانه وتعالى حبا المسلمين بأعظم النعم ، وأعطاهم من وسائل الحياة ما يهيء لهم القدرة على نشر العلم والحضارة .. اذا يتربع المسلمون على كنوز ثمينة ، ويربضون على ثروات معدنية هائلة ، ويملكون من الحقول البترولية أجداها نفعا ، وأكثرها سخاء وثراء ، وأقواها تدفقا وعطاء ..

ثانيا : ومن الحقائق التى تساعد الأمة الاسلامية على تنمية فلسفتها الخاصة بها العقيدة التى جاء بها الاسلام . وذلك أن العقيدة فى الاسلام عقيدة حياة تحث على طلب العلم ، وتدعو الى استثماره والافادة منه ، وتبيح للانسان التفكير فيما يسعد الانسانية ، وتفسح له ميدان النظر ، وتسمح له بالتمتع بالطيبات .. عقيدة تسموبالانسان .فتفيض على النفوس المؤمنة بروح الحرية ، وتبعث فى الأفئدة حرارة الشمم ، والحمية ، والاباء .. عقيدة تحمل للنفس الانسانية روحا من الأدب لا يقدر على

الاتيان بمثلها غيرها مما يتخيله البشر . ذلك لأن هذه العقيدة تؤثر على كل قوة من قوى النفس فتقيمها على الصراط المستقيم . صراط الله الذى وضعه الخالق لاصلاح الخلق . قال تعالى :

« وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » ..

فالدين الاسلامى عقيدة شاملة لتنظيم الحياة وتفسيرها واستجابة لحاجات النفس الانسانية ، ومشعل يضىء الطريق أمام الناس ليبلغ الناس غايات السعادة والاستقرار ..

هذه العقيدة التى جاء بها الاسلام هى أعطف شىء على الانسان فى مصائبه ، وأحنى آس عليه فى نوازله ، يعتصم بها فى مخاوفه ، ويلتجىء اليها فى أموره ، ويستسهل بها صعوبات الحياة ، ويموت بها مرتاحا قرير العين . لتيقنه أن يدا تنتظره لتحمله الى عالم أرقى من هذا العالم ، وقدرة تحف به ، تحفظه من عاديات الفناء ، وجائحات العدم ..

تأمل فى أمر هذه العقيدة التى تمس أخص حياة

الانسان وتدبر بامعان فى شعوبها وغنونها السارية من سائر عواطف النفس مسرى الكهرباء فى أسلاكها .. تأمل وتدبر : ترى قوى النظر والشم واللمس والذوق والحس مستخدمة ومسخرة لهذه العقيدة . وما مناظر هذا الجمال التكوينى ، وبدائع هذا العالم الحسى . مما يؤثر على كل حاسة من جهة قابليتها الا مثيرات لهذه العقيدة موقظات لزيادة الشعور بها ، والعقيدة الاسلامية كاملة لأنها من عند الله ، وما كان عند الله كان الاطمئنان اليه من لوازم الحياة ..

وما أكثر سمات العقيدة الاسلامية . وما أعظم خصائصها :

١ ــ انها كلية من الكليات التى تربط الانسان بقوى الكون الظاهرة والباطنة ..

٢ ــ انها تبث الثقة والطمأنينة فى الانسان وتمنحه القوة لمواجهة القوى الالحادية والأوضاع الباطلة ..

٣ — انها توضح للانسان غايته واتجاهه وطريقه فيستريح من صراع الفلسفات والمذاهب الانسانية.

٤ — وأنها تجمع للانسان طاقاته وقواه ، وتدفعها فى اتجاه الغاية .

٥ — انها تقدم للانسان الحل لمشكلاته جميعها على امتداد الأزمان والأمكنة ..

٦ — انها تقدم الحلول ومعها المؤيدات لتنفيذها والابقاء عليها ..

٧ — انها تتسع لكل أنواع النشاط الانسانى . وتربط بين المنطق والواقع ، والمادة الروح ..

ومن يتأمل العقيدة الاسلامية ويتدبر ما جاءت به من مفاهيم تناولت معضلات الحياة . ان من يتأمل ذلك يحس بالاطمئنان ، ويتخلص من الحيرة التى تواجه كثيرا من المفكرين ليس فى الاسلام ألغاز : ولا طلاسم ، وليس فيه ما يصعب على العقل فهمه . وقد هيأ الله للعقيدة الاسلامية الاعتماد على دعائم ثلاث هى :

— **بديهية الدليل .**

— **وصحة الدليل .**

— **ومطابقة حقائق الوجود .**

فحين يقول الله تعالى فى سورة ابراهيم : **« أفى الله شك فاطر السموات والأرض »** فانه يوقظ بذلك بديهة الشعور الانسانى ، ويستثير مكامن الفطرة القويمة .. وحين يقول **« أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون أم خلقوا السموات والأرض »** فانه يدعو الى النظر فى الدليل ، ويحث على التفكير فى أسرار هذا الوجود ..

ومن هنا كانت العقيدة الاسلامية دعوة الى التوازن ودعوة الى الاحتفاظ للانسان بانسانيته وكرامته ، وتقف العقيدة الاسلامية منذ أشرقت بنور الله . مهيمنة على كل المبادىء . ولا تقبل العقيدة الاسلامية أبدا أن يدخل فى الاسلام ما ليس منه ، أو يخرج منه ما هو فيه . لأن العقيدة الاسلامية بما اشتملت عليه من مبادىء وأحكام كل لا يتجزأ . ولا تقبل الخلط مع غيرها من المذاهب الوضعية

والعقيدة الاســلامية ضرورة للانســان ، وضرورة كبرى للمجتمعات لرفع مستواها الثقافى والفكرى والحضــارى ، وللمحافظة عليها مــن الانحــراف الالحادى ..

وفى ظل العقيدة الاسلامية تتخلص المجتمعات من المعتقدات الخرافية والأساطير والأوهام والشكوك والمذاهب الفكرية ، وترقى الى مستويات عليا مــن الاخاء الصادق ، والتعاون المثمــر ، والاحساس بالأمن ..

ومن هنا كان الاسلام دين العقيدة الصحيحة التى جاءت وقت بلوغ العقل البشرى طور رشده وكماله وتفتحه .. العقيدة التى تقر التوحيد الخــالص والتنزيه البالغ أرقى الصور . عقيدة ترفع من قيمة الانسان لأنها تصله بالله ، وتطهر النفس ، وتزكى القلب ، وتربى الخلق ، وتغذى العقــل ، وتوقف الغريزة عند حدها ، وتعطى كل مطمح مــن مطامح الانسان معناه الذاتى وسيرة الطبيعى . عقيدة مــن أخص خصائصها أنها تبعث فى روح المؤمن بهــا

الاحساس بالعزة من غير كبر ، وروح الثقة فى غير اغترار ،وشعور الاطمئنان فى غير تواكل ..

ثالثا : ومن الحقائق الأصيلة التى تمكن الأمة الاسلامية من التقدم الحضارى : العزة . والعزة فى الاسلام حقيقة أساسية من حقائق العقيدة . وهى فى ذاتها كفيلة بتعديل القيم والموازين ، وتعديل الحكم والتقدير ، وتعديل النهج والسلوك . وتعديل الوسائل والأسباب . ويكفى أن تستقر هذه الحقائق — بمفهومها وفلسفتها — وحدها فى قلب الانسان المؤمن ، لتقف به أمام الدنيا كلها ، عزيزا كريما ثابتا ، غير هياب ولا وجل ، سواء وقع على الموت أم وقع الموت عليه .. حقيقة تستقر فى القلب وتملأ الانسان قبل أن يكون لها مظهرا فى دنيا الناس .. حقيقة تستقر فى القلب فيستعلى بها على كل أسباب الذلة والضعة .. حقيقة يستعلى بها المؤمن على نفسه الأمارة واللوامة . يستعلى بها على شهواته المذلة الجامحة ورغباته القاهرة ومخاوفه ومطامعه . استعلاء على شهوة النفس ، واستعلاء على القيد والذل . واستعلاء على الخضوع الخانع . ومن

تحقق له هذا وشرب من رحيق هذه الحقائق ، فلن يملك أحد وسيلة لاذلال ارادته ، واخضاع ذاته • والعزة فى الاسلام ليست عنادا جامحا يستكبر على الحق ، ويتشامخ بالباطل • وليست طغيانا فاجرا ، يضرب فى عتو وتجبر واصرار • وليست اندفاعا باغيا، يخضع للنزوة ، ويذل للشهوة • وليست قوة عمياء صماء • تبطش بلا حق ، ولا عدل ، ولا صـــلاح • وليست صلفا وغرورا وهمجية وجهلا وطيشـــا • وليست كلاما وتشدقا وثرثرة وحذلقة • اذن وبدون مجانبة للحق يمكن أن نصل الى أن فلسفة العزة فى الاسلام خضوع للــه وخشـــوع ، واعتزاز باللـــه ومراقبة ، وجهاد وتضحية ، وعمل وسلوك •• ومن هذه المعانى وبها ولهـــا ترتفع الحيـــاة ، وتصـــمد النفوس •

ولقد أفادت التجارب الانســـانية أن الأمـــة التى تفضل حياة الذل والتـــواكل والاســـــتجداء على التضحية والاعتماد على النفس ، وتستسلم لقـــوى خارجية أمة بعيدة عن الصواب والسداد •• وقـــد

يكون من المسلمات البديهية أن ضعف الأمة فى جوهره وجذوره ليس ضعفا فى قوة الدفاع أو فى القوة العسكرية ، وانما يكمن فى ذل النفوس وشعورها بالضعف •• وفقر الأمة فى جوهره وجذوره ليس فقرا فى المعدات ، وانما يكمن فى فقر النفوس وعجزها وضعف الارادة وانهيارها •• ولهذا جاء الاسلام بتعاليمه وآدابه وارشاداته داعيا المسلمين الى التمسك بالعزة وبناتها من الرفعة والمنعة ، وأبناء عمها من الاباء ، والشمم ، والاستعلاء • واستطاع الاسلام أن يغرس هذه المعانى فى نفوس المؤمنين غرسا أصبح من المحال النيل من النفوس المؤمنة بربها ، المعتدة بعقيدتها•

وقد لاقى المؤمنون الأهوال والصعاب والأعاصير بقلوب ثابتة ، وتجشموا المخاطر والمشاق ، بصبر وعزيمة ••

رابعا : ومن الحقائق الأصيلة أن الاسلام متصل بفنون الحياة والحكم ، والفكر ، وقادر بطبيعته الذاتية على مواجهة تطور الأزمان واختلاف البيئات

والمجتمعات ، وله من القدر والقوة ما يمكنـــه من التبلور والتناسق ، بحيث لا يتوقف ، ولا يجمد ، ولا يتعارض مع طبائع الأمم فى حركتها الداخلـــة ، الممتدة عبر العصور ..

والاسلام ينظر الى الحياة نظرة كاملة وشاملـــة ويتدخل فى جميع شئونها ، بالاضافة الى أنه ديـــن يهتم بالجانب الروحى من الانسان فما من شىء يهم الانسانية الا وله فى الاسلام هدى وبيان واهتمام . وما من شىء يلامس حياة الناس الا وله فى الاسلام أصل عريق .

خامسا : ان تعاليم الاسلام الغراء صالحة لكــل زمان ومكان وفى الاصلاح الاسلامى من كليـــــات وجزئيات كفيل بقيام مجتمع انسانى تسوده روح الصدق والمحبة والتعاون والبر والوفاء والاخلاص . ولكن ذلك رهين بعودة المسلمين الى منابع عـــزهم ومجدهم ، والتمســك بأســمى القيم والأخــلاق الاسلامية ، والعمــل بتلك القيم والاســــترشاد بالتعليم الحية .

يقول أحد رجال الفكر : « ان المسلمين يمكن أن يعودوا الى عظمتهم الماضية ، والى زعامة العــالم السياسية والعلمية كما كانوا من قبل • اذا عــادوا الى فهم حقيقة الحياة فى الاسلام ، والعلوم التى حث الاسلام على الأخذ بها » ••

« ان روح نظام المسلمين هــو الدين ، والـــذى أحياهم هو الدين ، والـــذى يكفل ســــــلامتهم فى المستقبل هو الدين ليس الا •• » ••

—

المراجع والمصادر :

١ ــ القرآن الكريم ٠

٢ ــ الدكتور ابراهيم العــدوى ــ الحضــارة العربية ــ ط كتاب الهلال ٠

٣ ــ أحمد السايح ــ أضــواء على الحضــارة الاسلامية ــ ط الســعودية ٠

٤ ــ أحمد السايح ــ المعرفة فى الاســـلام بين الاصالة والمعاصرة ٠ ط القاهرة ٠

٥ ــ أدم ميتز ــ الحضارة العربية ــ ت ابو ريدة ــ ط الحلبى ٠

٦ ــ الفيروز ابــادى ــ بصائر ذوى التمييز ــ ط المجلس ٠

٧ ــ البرت اشفيتز ــ فلســـفة الحضــارة ــ ط وزارة الثقافة ٠

٨ ـ الأستاذ توفيق محمد سبع ـ قيم حضارية ـ ط مجمع البحوث ٠

٩ ـ ج ٠ ب ٠ بيوى ـ فكرة التقـدم ـ وزارة الثقافة ٠

١٠ ـ جورج سارطون ـ الثقـافة الغـربية ـ ط بيروت ٠

١١ ـ جوستاف لوبون ـ حضـــارة العـرب ت زعيتر ط الحلبى ٠

١٢ ـ حمـدى ابراهيم ـ العلم والمجتمـع ـ ط المجلس ٠

١٣ حوار بخشى ـ الحضـارة الاســلامية ـ ت الخربوطلى ط المجلس ٠

١٤ ـ عباس محمود العقاد ـ حقائق الاســلام واباطيل خصومه ـ ط دار الكتاب اللبنانى ٠

١٥ عباس محمود العقاد ـ الفلسـفة القرآنية ـ ط دار الكتاب اللبنانى ٠

١٦ ــ عباس محمود العقــاد ــ الانســـان فى القرآن ــ ط دار الكتاب اللبنانى ٠

١٧ ــ عباس محمود العقاد ــ التفكير فريضــة اســلامية ــ ط دار الكتاب اللبنانى ٠

١٨ ــ عباس محمود العقاد ــ الشـــيوعية والانسان ــ ط دار الكتاب اللبنانى ٠

١٩ ــ عبد الرحمن حنبكه ــ أسس الحضـــارة الاســلامية ــ السعودية ٠

٢٠ ــ عبد الحفيظ حسين ــ العلم والحضارة ــ ط المجلس ٠

٢١ ــ الشيخ عبد الحميد السايح ــ أثر الاسلام فى الحضار العربية ــ ط عمان ٠

٢٢ ــ الدكتور عبد الكريم عثمان ــ معالم الثقافة الاسلامية ــ ط السعودية ٠

٢٣ ــ على الجندى وآخرين ــ أطوار الثقــافة والفكر ــ ط الانجلو المصرية ٠

٢٤ ــ على القاضى ــ أثر المدنية فى الحضارة الغربية ــ ط المجلس ٠

٢٥ ــ محمد الراوى ــ الدعوة الاسلامية ــ الدار القومية ٠

٢٦ ــ محمد زكى قاسم ــ مدخل الى معرفة القرآن الكريم ــ ط المجلس ٠

٢٧ ــ الدكتور محمد سلام مدكور ــ الاسلام وأثره فى الثقافة العالمية ــ ط المجلس ٠

٢٨ ــ محمد فريد وجدى ــ دائرة معارف القرن العشرين ــ ط القاهرة ٠

٢٩ ــ الدكتور مصطفى الشكعة ــ معالم الحضارة الاسلامية ــ ط بيروت ٠

٣٠ ــ محمد كرد على ــ الاسلام والحضارة الغربية ــ ط لجنة التأليف ٠

٣١ ــ الدكتور محمد البهى ــ الدين والحضارة الانسانية ــ ط الهلال ٠

٣٢ — مونتجمرى وات — فضل الاسلام على الحضارة الأوربية — ط دار الشروق ٠

٣٣ — و ٠ ج ٠ برى — نمو الحضارة — س الألف كتاب ٠

٣٤ — وحيد الدين خان — الاسلام يتحدى — ط دار البحوث — الكويت ٠

٣٥ — وحيد الدين خان — المسلمون بين الماضى والحاضر والمستقبل ط المختار الاسلامى ٠

٣٦ — مجموعة بحوث — الثقافة الاسلامية والحياة المعاصرة — مؤتمر برنستون ٠

٣٧ — مجموعة بحوث — الثقافة الاسلامية من بعض زواياها — مؤتمر كراتشى ٠

٣٨ — مواسم ثقافية — الموسم الأول والثانى والثالث بالأزهر — ط الأزهر ٠

٣٩ — مؤتمرات مجمع البحوث الاسلامية من الاول الى الثامن ط ٠ الأزهر ٠

٤٠ ــ مجلات وصحف

ــ دعـــوة الحق	المغرب ٠
ــ الدعوة	السعودية ٠
ــ الارشـــاد	اليمن ٠
ــ الرســـالة	العراق ٠
ــ القافلة	الظهران ٠
ــ الندوة	مكة المكرمة ٠
ــ منبر الاسلام	القاهرة ٠
ــ الازهر	القاهرة ٠
ــ الرابطة الاسلامية	القاهرة ٠
ــ رابطة العالم الاسلامى	مكة المكرمة ٠
ــ الوعى الاسلامى	الكويت ٠

٤١ ــ نشرات

ــ الدين والحيــاة وزارة الأوقاف ٠

ــ مكتبة الامام وزارة الاوقاف ٠

٤٢ ــ هاملتون ــ دراسات فى حضارة الاسلام ــ ت احسان عباس ــ ط بيروت ٠



الفهـــرس	الصـــفحة

